هذا بلاغ للناس

﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

[سورة المنافقون : ٤]

بقلم

عبد السلام حمدي اللمعي

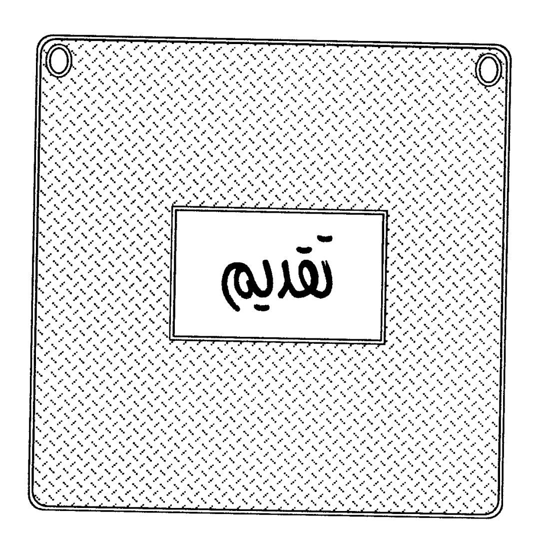
النـاشــــــر

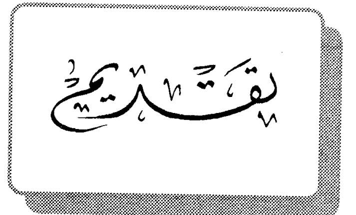
المكتبة المحمودية

ميدان الأزهر - ت : ٥١٠٣٠٦٧

رقم الإيداع ١٨٤٤٢ / ٢٠٠١

دار البيان للطباعة
هدفنا نشر الكتاب الأسلامى
تليفون وفاكس : ٢٩٧٠١٨٠


تقديم



إن الحمد لله وحده ، صدق وعـده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، هو الأول بلا ابتداء ، تفرد لذاته بالوحـدانية والبقاء ، والآخر بلا انتـهاء ، قضى على ما دونه بالهلاك والفناء ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ .

الحمد لله رب العالمين ، رب الأرباب ، مسبب الأسباب ، تحارُ فيه الألباب، مسير السحاب ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا** ﴾ [النبأ : ١٤] .

﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الحديد: ٣].

﴿ **أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف : ٩] .

له الحمد في الأولى والآخرة ، كما علمنا سبحانه وتعالى ﴿**فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

وأشهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ، له الملك وله الحـمد يحـيي ويميت وهو علـى كل شيء قـدير ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ** ﴾ .

[الرعد : ١٢ ، ١٣] .

أشهد شهادة حق بلسان صدق يسجلها الملكان الموكلان بي ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ .

[ق : ١٧ ، ١٨] .

وقد شهدت سلفًا وأنا في ظهر أبي البشر آدم كما شهد كل ولد آدم ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴾ .

[الأعراف : ١٧٢] .

وأشهد أن سيدنا ، وإمامنا ، ومعلمنا ، وقائدنا ، وشفيعنا يوم الفزع الأعظم، محمدًا بن عبد الله عبدُ الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة .

قال فيه سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا** ﴾
[الأحزاب : ٤٥ - ٤٧] .

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين ، وتابعي التابعين ، وتابعيهم بإحسان في الأرض وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

آمين .....

وبعد

فإني أتقدم بالعمل هذا إلى كل من كانت لهم قلوب يفقهون بها ، وآذان يسمعون بها ، وعيون يبصرون بها ، وألباب يتدبرون بها الآيات والحكمة ، ﴿ **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ [الحشر : ٢] .

آملاً في الله جل وعلا مُلحا عليه أن يحدث بقدرته بيني وبينكم القبول ، إنه تعالى على ما يشاء قدير .

وعليه فإنى آمل أن يحالفنى التوفيق فى العرض للتحقيقات والمباحث التى هى موضوع هذا العـمل البحثى الإسلامى . فى واحـد من أعظم الأيام هولاً وأشدها وقعًا . وهو اليوم الآخر آخـر أيام الحياة الدنيا ونهاية عهـد المخلوقات بها . . هو يوم الفصل ﴿ **يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ** ﴾ [الانفطار : ١٩] .

وما يسبق هذا اليوم من أشراط(١) تبين لنا دُنوَّ الساعة .

ولست أجـدُ أبلغُ ولا أجمل ولا أحق ولا أجـدر من الوقوف مع آى القـرآن الكريم وبين آياته العظيمة . والسنة النبوية المطهرة ليكونا مـقياس ميدان البحث فى عملى هذا .

ولقـد هدانى الله تعـالى إلى أشـرف اسم لهـذا المصنف من آية من القـرآن العظيم .

(هذا بلاغ للناس)

وموضـوعات البلاغ آخـذها من القرآن والسنة وكذلك تبـيان فحـواه وإظهار بواطنه وسوف أتبع مزجًا بين مناهج البحث العلمى والأدبى ، الإنشائى والخبرى، الاستنباطى والاسـتقرائى فهناك نصوص لا اجـتهاد فيهـا أو معها إعمـالاً للقاعدة الشرعـية : [لا اجتهـاد مع نص] ، وأخرى [إعمـال النص أولى من إهماله] وأعنى بذلك ما ورد به نصٌ من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة الواردة ضمن كتـابنا هذا ، لا أتعرض لكتابتها بغـير تفحيص وتمحيص ، وحـسن تحقيق وتدقيق .

(١) يراد بها علامات أو أمارات ولا حرج فى ورود هذه أو تلك فجميعها مترادفات .

إذ أقارن رواية الحديث بين مورد وآخر اعتمادًا على أمهات الكتب فى علم الحديث ، وعند أعلام الرواة وفى أصح كتبها .

بحيث لا أورد حديثًا إلا وتحققت من صحة إسناده وإخراجه فى أكثر من مصدر بحثى .

وسأتبع التحليل العلمى الموضوعى فى بعض أبحاث أحداث الساعة التى نعيشها بعد التحقيق من المراكز العلمية والبحثية المتخصصة . دون ورود أسانيد لذلك فى كل الأحوال . حتى لا يحيد بنا البحث إلى ميادين أخر . ولنظل معًا فى موضوعنا : (**هذا بلاغ للناس**) .

ولم أقصد أن أبوب موضوعات الكتاب فى صدره ، إنما نبوب كل موضوع عند التعرض له والحديث فيه .

وأزيل الصفحات بمعانى المفردات للكلمات غير المتداولة . أولاً بأول . كما نخصص آخر الكتاب إن شاء الله جزءًا فى سطور لتصحيح ما قد يقع منى بطريق الخطأ من أخطاء وكذلك أيضًا لتوثيق بعض التفسيرات والأحاديث .

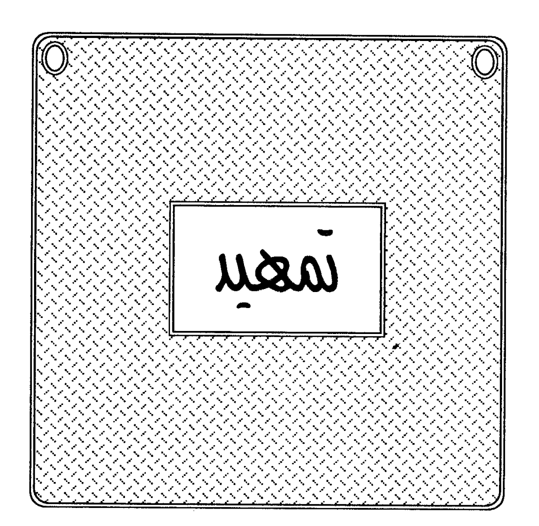
وننهيه إن شاء الله بذكر المراجع التى اعتمدت عليها . وتقديم الشكر لمن ساهم أو ساند برأى عند الإعداد . وكذلك شكر واجب سنورده فى حينه بإذن الله . ونختتم العمل بدعاء لوجه الله جل علاه .

وننهيه بفهرس بموضوعات الكتاب إن شاء الله تعالى والله المستعان .

وما توفيقى إلا بالله

الكاتب

❋ ❋ ❋


تمهيد

أحسن القصص

قال تعالى :

بسم الله الله الرحمن الرحيم

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] .

فذاك إذاً قصص يحدث فى النفس أثرًا طيبًا ؛ لأن النفس تتوق بالفطرة إلى الأسلوب الروائى وقد لا تألف أحيانًا الأسلوب الخبرى .

وهذا القصص لم يجئ منفصلاً فى حديث قدسى أو حديث نبوى . إنما ورد الحديث به ضمن سور القرآن الكريم .

والأسلوب القصصى الآتى من عند الله لهو خبر وإنشاء ، وقاعدة واستثناء ، وترغيب وترهيب وتهويل وتهوين ، وإعمال وإعلام ، وتبشير وتنفير ، إلى غير ذلك من الأضداد والمترادفات .

من أجل أن يتسنى لنا الاعتبار من آيات القرآن ، لقوله ﷺ : « خذ من القرآن ما تشاء لما تشاء » ، أو قال : « . . . ما شئت لما شئت » .

وبذلك تتوافر لدينا أدوات للبحث الدقيق لتقديم :

هذا بلاغ للناس

والذى ينقسم إلى قسمين أساسيين هما :

أولاً : أشراط الساعة .

أقصد بها علاماتها وأماراتها - كما وردت فى القرآن الكريم وبما بينته السنَّة النبوية المطهرة .

ثانيًا : أحداث الساعة .

وأقصد بها مجموعة العلوم البشرية ، والأحداث التاريخية الواقعة سواء فى ساعتنا الآن أو فى ساعات قد مضت إضافة إلى ما يسوقنا البحث فنهتدى إليه ونتطرق أخباره من موضعات .

فثمة ارتباط وثيق بأشراط الساعة وأحداث الساعة .

فالعقل البشرى الهانئ بملذات الدنيا المستمتع بها ربما كان غافلا عن تدارك تلك الحقائق وهذه الثوابت وبالتالى فإنه يعجز عن التعامل معها باعتبارها واقعًا مؤجلاً لقوله تعالى : ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوه** ﴾ [النحل : ١] .

ومن الضرورى إعمال العقل بمقدار لنتعلم عن تلكم الشعرة الدقيقة بين العلم والجهل ، الحق والباطل ، الصالح والطالح ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر : : ٩] .

ويقضى بنا الحال والمقام أن نتبين ما فى القصص القرآنى من عظة وعبرة قصد بها إعلامنا للتعرف على ما اقترفته أو استحدثته أيدى البشر وآثار ذلك على نهاية العالم والدفع بأغلب أهل الأرض إلى قاع جهنم .

﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** ﴾ [النازعات :٤٥] .

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

أولا : أسماء الساعة في القرآن بين التصريح والتلميح .

ثانيا : اقتربت الساعة .

ثالثا : أتى أمر الله فلا تستعجلوه .

رابعا : توصيف المكذبين .

المبحث الأول :

أولاً : أسماء الساعة فى القرآن بين التصريح و التلميح

اعلم أن الله تعالى لما ذكر الساعة فى القرآن الكريم تارة بالذكر الصريح وأخرى بوصف وتلميح إنما كان ذلك زيادة فى البيان لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٩] .

فالقرآن الكريم : يخاطب العقول والألسن واللهجات داخل اللسان الواحد .

فكان زيادة فى المن والعطاء أن يُبين لنا القرآن العظيم ما ورد فى أسماء الساعة اسما ووصفًا وضمنًا ليصل المعنى إلى كل بنى البشر على اختلاف دياناتهم وعقيداتهم وأفكارهم وأهوائهم وكذلك ميولهم وألسنتهم ، لذلك لزم الحال أن نبحث عن تلكم الأسماء على سبيل الحصر ما استطعت سبيلاً إلى ذلك إن شاء الله .

يقول عز من قائل :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النساء : ١٦٢] ، ﴿ يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم ﴾ [المائدة : ١١٩] ، ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ [الأنعام : ٢] ، ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ [الأعراف : ٨] ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [التوبة : ٩٩] ، ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ

القيامة ﴾ [يونس : ٦٠] ، ﴿ وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ [هود : ٣]، ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ [الحجر : ٣٨] ، ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [النحل : ١] ، ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ [النحل : ٧٧] ، ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ﴾ [الإسراء : ٥٨] ، ﴿ إما العذاب وإما الساعة ﴾ [مريم: ٧٥] ، ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ [الأنبياء : ١] ، ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ، ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] ، ﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم ﴾ [الحج : ٥٦] ، ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ [المؤمنون : ١٦] ، ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ﴾ [الفرقان : ١٧] ، ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ [الفرقان : ٢٥] ، ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ [الفرقان : ٢٧] ، ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ [النمل : ٨٣] ، ﴿ ويوم ينفخ في الصور ﴾ [النمل : ٨٧] ، ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾ [الروم : ٦٠] ، ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ [لقمان : ٣٤] ، ﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون * فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ [السجدة: ٢٩ - ٣٠] ، ﴿ يسألك الناس عن الساعة ﴾ [الأحزاب: ٦٣] ، ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق ﴾ [فاطر : ٥] ، ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ [الزمر : ٦٠]، ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ [غافر : ١٨] ، ﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾ [غافر : ٣٢] ، ﴿ إن الساعة لآتية ﴾ [غافر : ٥٩] ، ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ [فصلت : ١٩] ، ﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ [فصلت : ٤٧] ، ﴿ لعل الساعة قريب ﴾ [الشورى : ١٧] ، ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ [الزخرف : ٦١] ، ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ [الجاثية : ٢٨] ، ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة

أن تأتيهم بغتة ﴾ [محمد : ١٨] ، ﴿ وإن الدين لواقع ﴾ [الذاريات : ٦] ، ﴿ يسألون أيان يوم الدين ﴾ [الذاريات : ١٢] ، ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ [الطور : ٤٥] ، ﴿ أزفت الآزفة ﴾ [النجم : ٥٧] ، ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ [القمر : ١] ، ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ [القمر : ٤٦] ، ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ [الرحمن : ٣٧] ، ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ [الواقعة : ١] ، ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا ﴾ [المجادلة : ٦] ، ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ [التغابن : ٩] ، ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ [الملك : ٢٥] ، ﴿ الحاقة ﴾ [الحاقة : ١] ، ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] ، ﴿ فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير ﴾ [المدثر : ٨ ، ٩] ، ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾ [المدثر : ٤٦] ، ﴿ ليوم الفصل ﴾ [المرسلات : ١٣] ، ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ﴾ [النبأ : ١٨] ، ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ [النبأ : ٣٩] ، ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ [النبأ : ٣٨] ، ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ [النازعات : ٤٢] ، ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ [النازعات : ٣٤] ، ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ [الانفطار : ١٥] ، ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ﴾ [الانفطار : ١٩] ، ﴿ ليوم عظيم ﴾ [المطففين : ٥] ، ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ [المطففين : ١١] ، ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ [الزلزلة : ١] ، ﴿ القارعة ﴾ [القارعة : ١] .

وورد

﴿ إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا ﴾ .

[الواقعة : ٤ - ٦] .

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ .

[القارعة : ٤ – ٥] .

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١ – ٥] .

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ .

[المعارج : ٤٢] .

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج : ٦ – ١٠] .

﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ .

[الحاقة : ١ – ٤] .

﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ [الحاقة : ١٥] .

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم ﴾ [المائدة : ١٩] .

وجاء أيضًا :

الصافة ، الدمدمة ، الراجفة ، الرادفة ، الغاشية ، الواهية ، الآزفة ، الصاخة ، الفراق ، التلاق ، المشاق ، القصاص ، التناد ، الأشهاد ، المعاد ، المرصاد ، المآب ، الجزاء ، البكاء ، الفرار .

يوم عسير ، يوم الحشر ، يوم النشر ، يوم الجمع ، يوم البعث ، يوم العرض ، يوم الوزن ، يوم الحق ، يوم الحكم ، يوم الفصل ، يوم عقيم ، يوم عسير ، يوم عصيب ، يوم النشور ، يوم المصير ، يوم الفزع ، يوم الجزع ، يوم الفلق ، يوم الغرق ، يوم العرق ، يوم الميقات ، يوم الانشقاق، يوم الانكدار ،

يوم الانفطار ، يوم الافتقار ، يوم الخروج ، يوم الخلود ، يوم المسائلة ، يوم لات حين مناص ، يوم تقلب فيه القلوب والأبصار ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، يوم تقلب فيــه الوجوه ، يوم لا يرتجى فيــه إلا المغفرة ، يوم تبيض وجــوه وتسود وجوه .

ولقد وقفنا معا على ما للساعة من أسمــاء تتفق جميعا في بيان المعاني وتقرر جميعها حقيقة قيام القيامة وبيان حالها وأنها تتفق في تقرير بيانها ووقوعها إنما في ذلك بيان لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .

❊ ❊ ❊

المبحث الأول :

ثانيًا : اقتربت الساعة

قال الله تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ [القمر : ١] ، وجاء أولها معطوفًا على ما قبلها مناسبا له فى ختام سورة النجم . والمعقبة بسجدة تلاوة [لازمة – لازبة[١]] فى قوله تعالى : ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾ [النجم : ٦٢] .

وهو أمر يحتمل أن يكون عاما للعموم ، أو أن يكون التفاتا للخاصة ، كأن القول هكذا : أيها المؤمنون ، اسجدوا شكرًا لله على الهداية واشتغلوا بعبادة الله ولا تعبدوا غير الله لأنها ليست بعبادة . .

ولم يقل اعبدوا الله ، إما لكونه معلومًا وحُقَّت له العبادة وإما لأن العبادة لا تكون إلا لله .

وعليه فإنها بما تقدم تكون مناسبة أتم المناسبة للخاصة ولسجدتهم مما لو حملنا اللفظ والمعنى على العموم .

وكأن الأمر بالاشتغال بالعبادة والسجود شكرًا لله هو تقرير لمتحين وقوعه بغتة لأن الساعة قد اقتربت .

وإذا قلنا : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ [القمر : ١] ، ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾ [النجم : ٦٢] ، لأصبح بذلك المعنى ظاهرًا ، أى لأن الساعة قد اقتربت فائتوا الأوامر بعبادة الله .

---

(١) ضرورية – ثابتة .

سواء رأى البعض أنه معلوم والأمر عـام أو إن ذهب آخرون بأن الأمر التفاتا للخاصة .

فـإن العبـادة لا تكون إلا لله ، وعلـيه فـصحـيح أن يكون الأمـر عـامًا أو التفاتا .

فالحال يقضى بوجوب السجود والعبادة لله لاقتراب الساعة .

وفى الأثر : والملاحظ أن أول السورة مناسب لما قبلهـا ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴾ [النجم : ٥٧] .

فكأنه أعاد ذلك مع الدليل .

وقالوا : ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴾ وهو حـق إذا القـمـر انشق ، وحـصـل فـيـه الانشقاق .

وفى الصحيح خبر مشهـور رواه جمع من الصحابة ، وقالوا : سُئل الرسول ﷺ آية الانشقاق وحدها معجزة . فسأل ربه ، فشقه ومضى .

وقال بعض المفسرين : المراد سينشق ، وهو رأى بعيد ولا معنى له .

فذلك قول الفلسفى وهو من منع ذلك فى الماضى والمستقبل .

ولأن الانشقاق أمر هائل ، فلو وقع لعم وجه الأرض فكان ينبغى أن يبلغ حد التواتر ، فالانشقاق أمر هائل .

ورسول الله ﷺ كان يَتَحدَّى القوم بالقرآن ، وكان قولهم إنا نأتى بأوضح ما يكون من الكلام ، وعجزوا عنه .

فكان الإعجاز القرآنى باق إلى قيام القيامة ، لا يُتَمَسَّكُ بمعجزة أخرى . فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر .

ولاقتـراب الساعـة أمارات ، وعلامـات ، وأشراط كبـرى وصغـرى ، كان انشقاق القمر أول ما ذكر من هذه العلامات[١] !

وأثبت العلماء فى الزمن الحديث والوقت المعاصـر بما تطمئن له العقول ، أن الأرض فى بداية الخليقة كانت كتلة لينة وقع بينها وبين الشمس مدًا وجزرًا وجاذبية وطردًا ، حتى أخذت الكتلة اللينة فى التـجمع عند طرف من الكرة الأرضية ، أو أن تكون الكتلة شديدة الصلابة .

وهذا أولى وظلت تنفـصل عن باقى الأرض شيئًا فـشيئًا حـتى انفصلت تمامًا وسبـحت منفصلة فى الفضـاء . وهو ما يعرف جغـرافيًا وعلميًا باسم (القـمر) التابع للأرض .

وعندما هبط رائد الفضاء الأمريكى (نيل أرمسترونج) على سطح القمر عام تسعـة وستين وتسعـمائة وألف من الميلاد ١٩٦٩م وهى أول رحـلة للإنسان على ظهر القمر ، جـمع عينات من الصخور والرمال والفـتات وعاد بها إلى الأرض ، وقام الباحثـون فى هذا المجال بتجارب معملية نتج عنهـا إثبات أن عناصر تركيب العينات القادمة من سطح القمر متطابقة تمامًا مع عناصر تركيب الأرض .

وحكى القرآن الكريم عن هذه الحـقيقـة العلمية بقـوله بصيغـة الفعل الماضى لتأكيد حدوث الانشقاق بقوله : ﴿ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

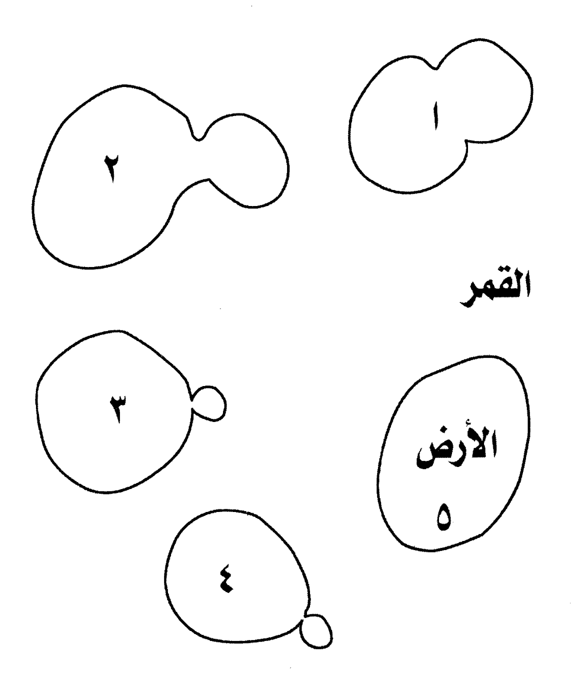
وصدق الله العظيم القائل : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

[القمر : ١].

❊ ❊ ❊

(١) نهاية ما جاء فى كتاب مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى .

راجع مفاتيح الغيب المجلد الخامس عشر صـ ٥٤ .



رسم يبين مـراحل انفصـال القمر عن الأرض كـما تخـيله علماء الزمـن الحديث

المبحث الأول :
ثالثًا : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوه ﴾

[النحل : ١] .

وفى بيان ذلك وجوه[1] :

الأول :

أن رسول اللـه ﷺ كان يخوفـهم بعذاب الدنيـا تارة وهو القتـل ، وكالذى حصل فى يوم بدر من الاستيلاء عليهم وعـلى أموالهم ، وتارة بعذاب يوم القيامة وهو ما يحدث عند قيام الساعة .

فلما لم يشاهدوا شـيئًا مما يخوفهم رسول الله ﷺ بـه طلبوا منه الإتيان بذى العذاب وقالوا له ائتنا به !

وقال الرواة أنه لما نزل قول الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

[القمر : ١] .

قال الكفار فيما بينهم : إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن ، فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئًا مما تخوفنا به ، فنزل قـول الله تعـالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم ﴾ [الأنبيـاء : ١] فاشفـقوا وانتظروا وأمسكوا يومـها فلما امتدت الأيام ، قـالوا : يا محمد مـا نرى شيئًا مما تخوفنا !

(١) نسخًا من كتاب مفاتيح الغيب الجزء الثامن عشر ص ٤٦٤ .

فنزل قول الله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فنزل قول الله تعالى ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوه ﴾ .

ولقد هددهم الرسول ﷺ وأكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة ، فلما لم يروا شيئًا من ذلك نسبوه إلى الكذب فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوه ﴾ .

وبيان ذلك من وجهين :

الأول : أن العذاب المتحدث عنه وإن لم يأت إلا أنه واجب الوقوع والشيئ بهذه الحالة والصفة فإنه يتناول فى المعتاد أنه قد أتى ووقع إجراءًا لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع ، وكأن يقال لمن طلب الغوث وقرب منه : قد جاءك الغوث فلا تجزع .

الثانى : كأن المراد بالقول أن أمر الله وحكمه ،بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد .

فصح القول قولنا ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ لا أن المحكوم والمأمور به ، لا يستطيعون رؤيته فى حينه ؛ لأن الله تعالى خصص لحدوثه وقتًا معينًا فلا تستعجلوه ولا تطلبوه قبل مجئ ذلك الوقت .

❊ ❊ ❊

المبحث الأول :

رابعًا : توصيف المكذبين

قال تعالى : ﴿ **وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ** ﴾ [المطففين : ١٢] .

اعلم أنه تعالى لم يفرط فى الكتاب من شئ لـقوله سبحانه : ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

ووجب علينا بيان المكذبين الموصوفين بالصفات الـثلاث . كما حددها القرآن الكريم .

أولاً : كونه معتديًا ، والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق .

ثانيًا : الأثيم : وهو المبالغة فى ارتكاب الآثام والمعاصى .

ثالثًا : ﴿ **إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [المطففين : ١٣] .

والمراد منه : الذيـن ينكرون النبـوة ، وهو توصـيف عـام فى حق جـمـيع الموصوفين بهذه الـصفات ؛ لتواتر توصيـفهم والإخبار بهم ، كـما ورد فى القرآن الكريم .

والثابت المستقر بالأخبار نقلاً وعقلاً أن الموجود من العدم لهو قادر على إحياء من كان حيا إعمالاً لقوله : ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المطففين : ١٢ - ١٣] .

* * *

المبحث الثاني

أولا : دلائل القدرة .
ثانيا : علم الساعة وعلوم الساعة .
ثالثا : المشفقون والفاسقون والماكرون .
رابعا : نسبية الإيمان .

المبحث الثاني :

أولاً : دلائل القدرة

لله قدرة فاقت كل القدرات ، ولا توجد قدرة بين الخلائق جميعهم إنسهم وجنهم والملائكة المقربين ، ليس لأحد قدرة ولا مقدرة تذكر فسبحان من كان أمره بين الكاف والنون يقول للشيئ كن فيكون .

ونبين إجمالاً دلائل القدرة والمقدرة من آيات الذكر الحكيم فاقرأ إن شئت قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

وكذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

[فصلت : ٩ - ١٢] .

دانت جميع الخلائق بالإيمان المطلق لقدرته على الحياة والممات ، والمنع والمنح، والإيجاد والعدم ، والقدرة على الكونية والتولد ، والإحداث بالصيرورة والتغير فإنه سبحانه يغير ولا يتغير .

ولقد أقر قدرته وبينها فى قوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٣] .

وقوله : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٨١ - ٨٣] .

ونورد إفرادًا ما حكى القرآن الكريم فى تمثيل حى وواقع تحقق حدوثه وبينه القرآن الكريم فى سورة البقرة :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة :٢٥٩] .

اختلف النحويون فى إدخال الكاف فى قوله ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾ وذكروا فيها وجوهًا نبين أقربها إلى القبول .

قال الفراء ، والكسائى ، وأبو على الفارسى ، وأكثر النحويين قالوا : ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾ هو عطف على المعنى ، ونظير ذلك من القرآن ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٨٥] .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون : ٨٦ - ٨٧] .

فهذا عطف على المعنى ؛ لأن معناه : لمن السماوات ؟ فقيل لله .

واختلفوا كذلك فى من مر على القرية .

فقول مجاهد وأكثر المفسرين من المعتزلة : أنه رجل كافر شاك فى البعث .

وقال الباقون : أنه كان مسلمًا .

وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى : هو عزيرٌ .

وقال عطاء وابن عباس : هو أرميا .

وقال بعض من هـؤلاء : أن أرميا هو الخـضر عليه الـسلام وهو رجل من سبط هارون بن عمران عليهما السلام .

وقال وهب بن مُنَبِّه : أن أرميا هو النبى الذى بعثـه الله عندما خرب بختنصر بيت المقدس وأحرق التوراة .

ومن قال أنه كان كافرًا فحجتهم : أن الله قص فى رواية الحدث حكاية عنه[١] أنه قال : ﴿ **أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ وهذا كلام من يستبعد من الله البعث من الفناء ، والإحياء بعد الإماتة ، وذلك قول كافر .

ومن قال أنه كان مؤمنًا وكان نبيًا نورد حجتهم إذ قالوا :

أولاً : أن الله سبـحانه وتعالى لـما حكى عنه قوله ﴿ **أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ إشارة صريحة على علمه بالله ودلالة واضحة على أنه عالم بأن الله يصح منه الإحياء فى الجملة .

ثانيًا : فخطاب الله له ﴿ **كَمْ لَبِثْتَ** ﴾ إقرار بحوار قد كـان فصار تقدير الكلم قال الله تعالى : ﴿ **كَمْ لَبِثْتَ** ﴾ .

فقال ذلك الإنسان : ﴿ **لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ﴾ فرده الله تـعالى : ﴿ **بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ** ﴾ .

---

(١) المراد : الرجل الذى مـر على القرية ، راجع مـفاتيح الغـيب الجزء السادس مـن نهاية ص ٥٦٧ وبعدها .

ومما يؤكـد أن الكلام من الله يـخـاطب به ذاك الإنسـان قـوله تعـالى : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ والمعلوم سلفًا وخلفًا أن القـادر على جـعله آية للناس هو الله تعالى . وأتبع سـبحانه الكلام فـقال : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ ولا وجه للاعتراض بأن قائل هذا القول هو الله تعالى لهذا أجدر بنا أن نقـر بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى تكلم مـعه وهذا لا يليـق بحال كافـر .

ثالثًا : إن إعادة ذلك الإنسان حيًا وإبقاء الطعـام والشراب على حالهما وإعادة الحمار حيا بعـدما صار رميما مع كونه شاهدًا لإعادة تركـيب أجزاء الحمار وعودة الحياة إليه ، لفى ذلك إكرام عظيم وتشـريف كريم من الله تبارك وتعالى وذلك لا يليق بحال من يوصف بالجحود والكفر .

وكثـرت الروايات والأقاويل فى من مـر على القرية ويكاد يحـسم القول فى ذلك ما روى عن ابن عـباس رضى الله عنهـما فى سبب نزول الآية فـقال : فى سبب نزول الآية : أن بختنصر غزا بنى إسرائيل فسبى منهم الكثير ومن بينهم عزير من خيرة علمائهم(١) فـجاء بهـم إلى بابل ، ففـر عـزيرٌ من الأسـر ودخل تلك القرية(٢)، وهو على حماره وطاف فى القرية فلم يرَ فيها أحدًا .

فعجب من ذلك ، وقال كـما حكى الله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ لا على سبيل الشك فى القدرة ، بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة، وكانت الأشجار مثمرة فتناول من الفاكهة والتين والعنب ،وشرب من عصير العنب ونام ، وأعمى الله الضوارى والجوارح والإنس عن موته .

---

(١) المراد بنى إسرائيل .

(٢) لم يرد نص فى قرآن أو سنة يفيد موقعها أو اسمها .

وبعد المائة أحياه الله تعالى ونودى من قبل السماء : يا عزير ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ بعد الموت فقال ﴿ يَوْمًا ﴾ فأبصر من الشمس بقية فقال : ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فقال الله تعالى : ﴿ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ ﴾ من التين والعنب ، ﴿ وَشَرَابِكَ ﴾ من العصير لم يتغير طعمهما ، فنظر فإذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال تعالى : ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾ فنظر فإذا هو عظام بيض تلوح، وقد تفرقت أوصاله ، وسمع صوتًا يقول : أيتها العظام البالية إنى جاعل فيك روحًا ، فانضم أجزاء العظام بعضها إلى بعض ، والتصق كل عضو بما يليق به ، الضلع إلى الضلع ، والذراع إلى مكانه ، ثم جاء الرأس إلى مكانه ، ثم العصب والعروق ثم أُنبت طراء اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ، ثم خرجت الشعور عن الجلد ، فنفخ فيه بالروح فإذا هو قائم ينهق ، فخر عزيرٌ ساجدًا وقال كما حكى القرآن الكريم : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ويظل التأكيد على أن المنكرين للساعة كثير ومنهم من لم يذكر لإنكاره دليلا ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة .

ولقد حكى الله عنهم فى مواضع كثيرة بلفظ الاستبعاد كما قال سبحانه :

وقالوا : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات: ١٦] .

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [السجدة : ١٠] .

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات : ٥٣] .

﴿ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ [الصافات : ٥٢] .

وما شابه ذلك فى غير موضع بالقرآن الكريم .

وقد يكون الاستبعاد طريقًا لمثل هؤلاء فى الإنكار كقوله : ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨] .



ويكون استبعادهم من جهة ما فى المعاد من التفرق والتفتت حيث قالوا : ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الإحساس فيه ووصفه بما يقوى جوانب الاستبعاد من البلى والتفتت ودفع الله استبعادهم من جهة ما فى المعيد من القدرة والعلم فقال : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾ أى جعل قدرتنا كقدرتهم ونسى خلقه العجيب وبدءه الغريب .

فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد على المعيد ، فهلا هم يستبعدون خلق العاقل الناطق من ماء مهين ، من نطفة قذرة لم تكن محلا للحياة أصلاً ، ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى ما كانا فيه إنها قدرة القادر المقتدر وما أكثر دلائل القدرة .

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني :
ثانيًا : علمُ الساعة وعلوم الساعة

اعلم بأن الله الذى خلق الأرض فى يومـين وجعل فـيها رواسـى من فوقـها وبارك فيهـا وقدر فيهـا أقواتها فى أربعة أيام سـواء للسائلين : ﴿ **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كـان عطاء ربك محظورا** ﴾ يعلم ما ينزل من السـماء وما يعرج فيها وإليه يرد علم الساعة وإليه المآب نظير ذلك قوله :

﴿ **لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [الحديد : ٢ - ٦] .

وقال سبحانه : ﴿ **عنده علم الساعة وينزل الغـيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت** ﴾ .

وكله يؤكد على أنه إليه يرد علم الساعة ، لا يجليها لوقتها إلا هو .

صرح بقدومها وبين أشراطها ولم يعلم أحدًا بأجلها واستأثر لذاته بعلمها نظير ذلك قوله : ﴿ **إن الساعـة لآتية** ﴾ [غافـر] ، ﴿ **إن الله عنده عـلم السـاعـة** ﴾ [لقمان] .

فعلوم الساعة من حـساب وفلك وطبيعة وفضاء كل بعلمائه العظـماء وباحثيه



المتخصصون عجزوا بل ويعجزون عن مناولة أجل الساعة تجريدًا سواء كانوا علماء الساعة أو كل ساعة .

قال تعالى : ﴿ **إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ** ﴾ [فصلت : ٤٧] .

وقوله إليه يرد علم الساعة ، يفيد الحصر والقصر والتعيين بأن علم الله لا يدانيه علم كائن من كان ، إذ لا يعلم أجلها ولا يجليها لوقتها إلا الله ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك أو التعرف بعلم أو على علم يكون بعد يؤدى إلى ذلك أو لمجرد الخوض فيه أو فيما شابه ذلك .

ويقضى الحال بأن من كان على يقين بذلك كان مؤمنًا ومن على النقيض كان فاسقًا وفى ذلك قوله : ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ** ﴾ .

[السجدة : ١٨] .

وذلك يقتضى بالضرورة التصديق المطلق واليقين الدائم بالغيب فمن كان على غير يقين بالآخرة فقد ضل ضلالا بعيدًا لقوله تعالى : ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [البقرة : ١ - ٥] .

فالغيب إذًا هو جنس كل العلوم ، والإيمان به فلاح دائم ونجاح أكيد وفوز عظيم .

وهذا الفيض من العطاء والمنح الإلهى لهو مشروط بما يدعيه بنو البشر من تقدم علمى ، فإن آيات الله تنزل بقدر وبمقدار عند أجل لا يعلمه إلا الله فالذى

يدركنا من الغيبيات جاء بمفتاح من عند الله ، مثل سقوط الأمطار وما يولد من الأرحام وما تكسبه اليوم فتقتات به اليوم أو غدًا كل ذلك بيد الله .

واقرأ إن شئت : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ .

[الأنعام : ٥٩] .

ولقد عانى وقاسى رسول الله ﷺ من أولئك المكذبين به وبالله ، واليوم الآخر ، ونزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، مخاطبًا إياهم معددًا نعمة الله عليهم وقوله سبحانه ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون** ﴾ .

ماذا لو قال لهم الرسول فى معنى ، ويخلق ما لا تعلمون أنهم سوف يركبون طائرات تطير فى الجو بين السماء والأرض تنقلهم من بلد إلى آخر فى دقائق أو ساعات قليلة ، هل كانوا يصدقون ؟ كلا فهم قد عرفوا الخيل والبغال والحمير والجمال ، للركوب والسفر والزينة وحمل المتاع والأثقال ولكنهم لو سمعوا وقتهم بالطائرات والصواريخ الفضائية ، لكفروا بالله ورسوله وازدادوا كفرًا وفسوقًا ولرموا الرسول ﷺ بالجنون .

وتوالت آيات الله على بنى البشر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادى الموافق الثالث عشر والرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجرى وبهذا التطور رأى بنو البشر من خلق الله ما لم يكونوا يعلمون بدءًا بالتليغراف فاختراع التليفون ، المذياع ، التليفزيون ، المسجلات ، الطائرات ، الصواريخ ، ومنها الحربية والفضائية ، والأقمار الصناعية ، الثلاجة ، المُكيفات الهوائية الباردة والساخنة ، الأسلحة النارية ، الأسلحة الكيماوية ، فالتليفون المحمول ، وما تقدم على سبيل التمثيل لا الحصر .

علمًا بأن مـا تقدم كـان دربًا من دُروب الخـيال وحـديثًا يُغذى من أحـاديث النجوم كما كان يعتبر استخفافًا بالعقول قبل وقت قليل .

إلا أنها فى مجملها آيات وقعت ونستخدمها فى حياتنا اليومية بما يعمل تحقيقًا قول الحق سبـحانه : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ [فصلت : ٥٣] .

وقوله : ﴿ **وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [الزخرف : ٨٥] .

اعلم بأن قـوله : ﴿ **وَتَبَارَكَ** ﴾ لهو مشـتق من الثبات والكمال وكثـرة الخير وقوله : ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ فمقصود منه التقدير والتأكيد على كمال علم الله وذاته وعظمة قدرته فلا يجليها لوقتها إلا هو .

وأما قـوله تعالى : ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ فتنبـيه إلى كمـال ذات القدرة على البـعث والنشور كقوله : ﴿ **ثم تردون إلى عالم الغـيب والشهادة فـينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾

وادخر الملك المهيمن على الملكوت بالعلم الذى يأتى بغتة وبين أشراطا لذلك ليـزداد الذيـن آمنوا إيمانًا وليـرتاب الذين فـى قلوبهم مـرض ويحق الـقـول على الكافرين .

وذلك نظير قوله : ﴿ **ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

وقال : ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ** ﴾ [محمد : ١٨] .

ويعنى بالجـملـة فى هذا المقـام بأن المنافـقين والكافـريـن لا ينظرون إلا إلى

الساعة .

وذلك لأن البراهين قد صحت والأمـور قد اتضحت ، فإنهم لا يؤمنون ولا يتوقع منهم الإيمان إلا عند قيام الساعة .

ويحتمل أن يكون المقصود بالسـاعة حلول الأجل كقوله تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠] .

فالبغتة[1] **إذًا** : هى حدوث الشيئ أو إحداثه على غيـر توقع من قبيل المفاجأة كقوله ﴿ **إذا وقعت الواقعة** ﴾ .

❊ ❊ ❊

(١) البغتة : من (بَغَتَهُ) - بغتًا . وبَغْتَةً (فجاءةً وبهتةً) . و (باغَتَهُ) بِغَاتًا ومُباغتةً . فَاجَأَهُ .

المبحث الثانى :
ثالثًا : المشفقون والفاسقون والماكرون

قوله تـعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

[الشورى : ١٧ - ١٨] .

والمعنى أنه تعالى أنزل الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والبيانات ومع ذلك هم لا يعلمون أن القيامة تفاجئهم .

وعليه يتعين على العاقل أن يترك طريقة أهل الجهل والتقليد والإنكار والجحود وأن يطرق سبل النظر والاسـتدلال لاستيعـاب قوله تعالى : ﴿ **سنريهم آيـاتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾

ولأن رسول الله ﷺ كان يخوفهم ويهددهم بنزول العذاب وبقيام القيامة وزاد فى ذلك ، ولما لم يجدوا أثرًا أو نتيجة قالوا على سبـيل الاستهزاء والسخرية فمتى تقوم القيامة .

وليتها قـامت حتى يظهر لنا ، أن الحق ما نحن عليه ، أو الذى عليـه محمد وأصحابه .

ودرءًا لهذه الشبهة قال تعالى : ﴿ **يستعـجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين ءامنوا مشفقون منها** ﴾ والمعنى واضح جلى .

وعليه فإن الخـوف لا يحصل لمنكر البعث فهو جـاحد لله نافٍ لدلائل قدرته كافرٌ بأن له القدرة على البعث والإحياء .

إنما يخافها ويشفق منهـا من هم على يقين وإيمان بالبعث إيمانًا بالقدرة المطلقة فهم إذًا مؤتمرون بقوله تعالى : ﴿ **وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ .

[آل عمران : ١٧٥] .

ولما كان القرآن الكـريم قد نزل على النبى الأمى محمد الأمـين بشيرًا ونذيرًا للناس أجـمعين ، فـآمن المؤمنون ، ومكر الماكرون وتمرد المارقـون ، فأبى العـزيز الجبار إلا أن ينذر أهل القرى بما هو سبـحانه قاضٍ بـهم ﴿ **إن أجل الله لآت** ﴾ [العنكبوت] .

وجاء السيـاق فى صيغة استفـهام استنكارى قصد به التنبـيه إلى سوء المنقلب والمآب بغية العدول عن الخسران المبين والعودة إلى الاعتصام بحبل الله القويم .

فكان قوله تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [الأعراف : ٩٧ - ٩٩] .

والمكر عبارة عن (الاحتيال فى إيصال الشر) والاحتيال على الله تعالى محال فصار لفظ فى حقه من المتشابهات فيصح أن يكون جزاء المكر بالمكر كقوله تعالى : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ [الشورى : ٤٠] .

ويقصـد بالمكر عند أهل اللغة (السعى بالفـساد فى خفـية ومداجاة) كـقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

وعليه فإن قـوله تعالى : ﴿ **أفأمن أهـل القرى** ﴾ هو استفهام بمعنى الإنكار عليهم ويـقصد به التـخويف والتـرهيب من نزول عذاب الله بغـتة وهم فى وقت

يكونون فيه غـاية فى السهو والغفلة كأن يأتى حـال النوم بالليل أو حين الضحى[1] حيث التشاغل بأمور الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿ **أفأمنوا مكر الله** ﴾ بغيته التنبيه على أن عذاب الله يأتى من حيث لا يشعر الناس وهو سياق قصد به التحذير .

فـلا يأمن نزول عـذاب الله أو إيتـاء أمره لغـفلتـهم وجـهلهم ﴿ **إلا القـوم الخاسرون** ﴾ فإنهم لا يعرفون ربهم وهم له منكرون وعلى ذلك فقد أوقعوا أنفسهم بؤرة الضرر فى الدنيا وفى الآخرة عذاب شديد .

ثم قوله تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [النحل : ٤٥] .

يشير القـول بالاستفهام بمـعنى الإنكار على من تحدثت عنهم الآية وهم أهل مكة الذين اشتغلوا بعبادة غير اللـه وسعيهم فى إيذاء الرسول ﷺ وأصحابه على سبـيل الخفيـة ، وكذلك سلوك من كانـوا حول المدينة من الأعراب ، واليـهود ، والمنافقين .

والحاصلُ أنه تعالى خوفهم بخسف يحصل فى الأرض ، أو بعذاب ينزل من السماء ، أو بأمراض وآفات تحدث دفـعة واحدة أو قليلاً قليلاً إلى أن يأتى الهلاك على آخرهم وذلك فى وجوه نبينها على النحو التالى :

الأول : أن يخسف الـله بهم الأرض كما كـان قارون ومـا حدث لإرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد .

الثانى : أن يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كأن تهب عليهم ريح صرصر عاتيـة (ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلـته كالرميم) أو أن يرسل عليـهم طيراً

(١) صدر النهار وأصل الظهور .

أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل .

الثالث : أن يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين كقوله : ﴿ **أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون** ﴾ .

الرابع : أو ﴿ **يأخذهم على تخوف** ﴾ والخوف من الفعل والتخَّوف من التفعل . فتقول خِفتُ الشيء وتخوفتُهُ ، وخافَ الشيءَ وتخَّوفَهُ . فالمراد أن الإخافة ردع وترهيب وتنبيه بسوء المصير وجهالة هويته ، إذ لا يقع العذاب أولاً بل يخيفهم أولاً ثم يعذبهم بعده .

ويعنى ذلك أن فرقة تهلك فتخاف التى تليها ، وفى وقوع ذلك يحدث الهلع والألم والحسرة والندم ﴿ **إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود : ١٠٢] .

وقد حكى القرآن الكريم عن صاعقة عاد ، حجارة قوم لوط ، طوفان قوم نوح ، بحر فرعون ، إلى غير ذلك ممن أخذوا بالسنين والدم والقمل والضفادع .

ووجب على كل عاقل ناطق أن يتدبر الآيات بتريث قبل أن يأتى يوم قال فيه القرآن الكريم : ﴿ **يوم يأت بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا** ﴾ .

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني :

رابعًا : نسبية الإيمان

نؤكد هنا أن الإيمان ضد الكفـر لقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] ، وأن الإيمان اختـيارٌ عند القليل : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُم ﴾ [ص : ٢٤] وأن الكفـر إعراض وفـسق من الكثيرين : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

والإيمان والكفر اختيـار ويلاحظ أن الاختيار عندما يصبح حـقًا يحدث التمرد والعصيان . إلا من رحم ربى .

إلا أننا نجـد الإيمان عند الإنس والجـان نسـبى لا مطلق بالـكم ويكون عند الخاصة نسبى بالكيف فقط لقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

[المؤمنون : ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] [1] ، ويراد بالسجود هنا قولان :

الأول : السجود بمعنى وضع الجبهة على الأرض وهذا القول فيه وجهان :

أحدهما : أن اللفظ وإن كان عامًا إلا أن المراد بـه الخصوص وهم المؤمنون ، فبعض المؤمنين يسجدون لله طوعًا بسـهولة ونشاط ، ومن المسلمين من يسجد لله كرهًا لصعوبة ذلك عليه مع أنه يحمل نفسه على أداء تلك الطاعة شاء أم أبى .

(١) ذكر الإمام فخر الدين الرازى - المجلد الثامن الجزء السابع ص ٢١٩ آية ١٥ .

ثانيهما : أن اللفظ عام ويراد منه أيضًا العام ، ويرى البعض الآخر أن المراد من قوله تعالى : ﴿ **ولله يسجد من فى السموات والأرض** ﴾ أى ويجب على كل من فى السموات والأرض أن يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول .

ويرى آخرون : أن المراد من السجود التعظيم والاعتراف بالعبودية ، وكل من فى السماوات والأرض يقرون بالعبودية لله على ما قال سبحانه : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّه** ﴾ [لقمان : ٢٥] .

القول الثانى :

فهو أن السجود عبارة عن الانقياد والخضوع وعدم الامتناع فكل من فى السماوات والأرض ساجد لله بهذا المعنى لأن قدرة الله ومشيئته نافذة على الكل.

نظير ذلك قوله تعالى : ﴿ **بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** ﴾ [البقرة : ١١٦] .

وقوله : ﴿ **ولَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْض** ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

وأما قوله : ﴿ **طوعًا وكرهًا** ﴾ فالمراد أن بعض الحوادث ممَّا يميل الطبع إلى حصوله كالحياة والغنى والسعادة والهناء ، وبعضها مما ينفر الطبع عنه كالموت والجوع والفقر والعمى ، كل حاصل بقضاءه وقدره وتكوينه وإيجاده ولا قدرة لأحد على الامتناع والمدافعة أو المداخلة .

ثم قال تعالى : ﴿ **وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾ .

قال المفسرون فى ذلك : كل شخص سواء كان مؤمنًا أو كان كافرًا فإن ظله يسجد لله طوعًا وهو طائع وظِل الكافر يسجد لله كرهًا وهو كاره ويسجد الطائع والمكروه إقرارًا بعبودية الله .

واختصاص الوقتين ﴿ **الغدو والآصال** ﴾ بالذكر وهما وقتا البكرة والعشى

حيث التكليف فيهما أولى لقوله سبحانه : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] .

وذلك أيضًا لأن البكرة أول النهار والعشيـة آخره وهو ما يعنى دوام الانشغال بعبادة الله من الإبكار إلى العشى .

وانظر قوله : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

[الإسراء : ٤٤] .

وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

[النحل : ٤٩ - ٥٠] .

ونحن مأمـورون بالتسبيح والسـجود والاستغـفار وذلك لأن اقتراب السـاعة إجبار ومدعاة لذلك .

وذاك قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٩٨].

وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر : ٣] .

والذى شغلنى إرداف اقتراب الساعة على فعل الأمر المخاطب للجميع مسبوقًا بفاء السببية كأن المراد القول بأنه اقتراب يوجب السجود وعليه فإن العقيدة باعتبارها ذروة الإيمان نسبية مشروطة بالخاصة لا عرض عام عند العامة .

وسوف نتعـرض من وجوه مختلفة لـلأمارات والعلامات والأشراط ليـتحقق موضوع البلاغ المقـدم للناس . إن شاء الله بحسن البيان لتـبصير الأذهان . والله أسأل سلامة الأرواح والأبدان .

المبحث الثالث

أولا : ما وقع قبل مولد النبي ﷺ وبوفاته .

ثانيا : ما وقع مع بعثة النبي ﷺ .

ثالثا : ما يقع في الزمن المعاصر .

رابعا : ما يقع في زمن المستقبل .

تمهيد

سبق أن بينـا حصرًا مـا للساعة من أسـماء فى أول ضـمن المبحث الأول ، ونتعرض لما ما للساعة من أشراط وعلامات وأمارات فى هذا المبحث ، والتى منها ما قد وقع وانقضى ، وما هو كائن أمام أعيننا ، وكذلك ما سيحدث مستقبلا إن شاء الله فـى حدود ما لدينا مـن أخبار بينهـا القرآن الكريم وبينـتها السنة الـنبوية المطهرة ونصنف ذلك فى وجوه :

الأول : ما وقع قبل مولد النبى ﷺ وبوفاته .

الثانى : ما وقع مع بعثة النبى ﷺ .

الثالث : ما يقع فى الزمن المعاصر .

الرابع : ما يقع فى زمن المستقبل .

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث :
أولاً : قبل ميلاد النبى ﷺ وبوفاته

سبق أن بينا حـادثة انشقـاق القمر عند التـعرض لقـوله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ وذلك فى المبحث الأول بعد التمهيد ضمن موضوع أحسن القصص .

ولا أجد مـا أضيف إلا أنه ثمة رواية قـد أفادت بانشـقاق القمـر إلى نصفين وتحقيق حدوث الانشقاق .

كمـا روى أن شيئًا ظهـر فى الجو على شكل نصف القـمر فى مـوضع آخر فتركوا حكايته فى تواريخهم ولست فى مقام العرض لتلك الأقاويل أو مناقشتها .

إلا أنه فى موضوع الانشقاق كلام كثير .

وقوله ﷺ : « ست من أشراط الساعة .. موتى - وفتح بيت المقدس ... إلخ » كما سيأتى بعد .

فإن رسول اللـه ﷺ أخبر بأن قيام السـاعة مشروط بموته . ولقـد بين القرآن الكريم ذلك بقوله : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [الزمر : ٣٠] .

ورسول الله ﷺ وإن مـات بجسـده فإنه لا زال حيًا فـينا بمنهجـه وتعاليـمه وأحاديثه نبراسُ البشرية جمعاء .

وذلك نظير قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ** ﴾ .

[الأنفال : ٣٣] .

ولو كان المعنى من ظاهره لما دخل أحد من المسلمين الجنة بعد الصحابة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ ولكنه ﷺ فينا إلى أن لا يقال فى الأرض الله . الله . والمعنى أنه إذا رُفعَ الكتاب وعاد الإسلام غريبًا كما بدأ ولم يذكر الله فى أرضه يحق القول إذًا والله غالب على أمره .

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث :

ثانيًا : آيات وقعت مع بعثته ﷺ

لما بين الله تعالى بالبراهين العقلية إمكان قيام القيامة ، ثم أخبر عن وقوعها إذا جاء ﴿ **لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ وذكر بعده أحوال الساعة وأحوال الأشقياء والسعداء .

ولما سمع الكافرون والمنافقون والمشركون أخبار القيامة ووصفها بأوصاف هائلة كالقارعة - الطامة - الواقعة - قالوا أنه لا أصل لذلك ، ثم قالوا على سبيل الاستهزاء ﴿ **أيان مرساها** ﴾ .

ويحتمل أن يكون سؤالهم الرسول ﷺ على سبيل الجحود والاستهجان والنكران كقوله تعالى : ﴿ **يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا** ﴾ .

[الشورى : ١٨] .

وقوله : ﴿ **فيم أنت من ذكراها** ﴾ اختلف فيه المفسرون . . . ونتناول أقرب التفسيرات ونعمل رأينا فيه بما لا يعد جحودًا منى لرأى آخر .

إذ لما قال الرسول ﷺ : « بعثت والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة ، والوسطى ، كأنه يصرح تأكيدًا بدنو بعثته والساعة .

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما :

قال أحمد : حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو له ثم قال :

« **أما بعد** . .

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة - ثم يرفع صوته ، وتحمر وجنتاه ، ويشتد غضبه، إذا ذكر الساعة كـأنه منذر جيش ثم قال - أتتكم الساعة ومـستكم ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دينًا أو ضياعًا ، فإلى وعلى الضياع »[1] .

وعليه يكون الأولى بالإعمال فى قوله تعالى : ﴿ **فيمَ** ﴾ أن يكون ذلك إنكار واستهجان لسؤالهم - أى فيما هذا السؤال - ثم قال تعالى : ﴿ **أنت من ذكراها** ﴾ أى أنت من علامـاتها ، وواحد من أقسـام أشراطها ، فكفـاهم بذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستـعداد لها ، ولا فائدة فى سؤالهم عنـها إذ هم لها منكرون ، وبلقاء ربهم كافرون .

وقال الإمام أحمـد : حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعى حدثنـى إسماعيل بن عبيد الله ، يعنى ابن أبى المهاجر الدمشقى قال : قدم أنس بن مالك - رضى الله عنه - على الوليد بن عبد الملك ، فسـأله ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « أنتم والساعة كهاتين » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وحُقَّ لنا أن نسعد بأننا آخر الأمم وأشدها قربًا من يوم القيامة ، وإشارته ﷺ بالسبابة والوسطى يبين فى تشبيه بليغ : مـدة البعد الزمنى بين أمتنا والساعة إذ أن ذلك يعنى أن هناك زمن لا هـو بطويل ولا بكثـير كـما هـو الحال عند التـشـبيـه باستخدام الإشـارة بالسبابة والوسطى ليستـقر فى الأذهان ولتطمئن القلوب بأنه لا أمة أو دين أو نبى آخر بيـننا وبين اليوم الحق لأن النبى محمـد ﷺ هو آخر النبيين

(١) يعنى ولده والمساكين .

لآخر الأمم لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

فكأن المراد القــول : أن الساعة على إدبار أمــتكم هذه ،واقعــة ، إذا وقعت الأشراط والعلامات والأمارات التى بينهــا الرسول ﷺ والتى سنوردها بعد إن شاء الله .

فإن رُوى الحديث : « بعثــت والساعة » كقول الجمهــور ، فذلك قول عظيم وإن رواه متفرد « أنتم والساعة » فلا حرج مع تناول الحديث بهذا الوجه أو مناولته على هذا النحو .

خروج النار

رُوى عن أبى هريرة قــوله أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقــوم الساعــة حتى تخرج نار من أرض الحــجاز تضئ لها أعــناق الإبل ببصرى » وقــد ورد أن الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، شيخ المحدثين فى زمانه وأستاذ المؤرخين فى أوانه أنه فى سنة أربع وخمسين وستــمائة من الهجرة فى يوم الجمعة خــامس جمادى الآخرة ، ظهــرت نار بأرض المديــنة النبــوية فى بعض تلــك الأودية ، طول أربعــة فــراسخ وعرض أربعــة أميال ، تسيل الصــخر حتى يبــقى مثل الآنك[1] ثم يصير كــالفحم الأسود ، وإن ضــوءها كان الناس يسيــرون عليه بالليل إلى تيمــاء وأنها استــمرت شهــرًا . وقال الشــيخ شهاب الدين أن قــاضى قضــاة دمشق أخــبره عن ولده أن أعرابيان من حضور بلــد بصرى أنهم شاهدوا أعناق الإبل فى صور هذه النار التى ظهرت من أرض الحجاز .

وهكذا وقع على أعين الناس وجاء إلينا بالتواتر ما أخبر به النبى ﷺ .

(١) الآنك : النحاس ، الرصاص ، القصدير المذاب .

فيض المال

جاء فى الأثر أن المال قد فاض حتى أن رب المال كان يخرج بماله فلا يجد من يتصدق عليـه به وأن بيت المال قد مُلِءَ وفاض حتى أنه لم يُسمع بوجود فـقير فى حاجة إلى ما يسد رمقه أو يستر عورته .

وذلك فى عهد خامس الخلفاء الراشدين (عمر بن عبد العزيز) .

لما لم يجد الخـليفة وجـهًا لإنفاق المال أمـر بتزويج شبـاب المسلمين من بيت المال، حتى أنه لم يبق شاب مـسلم بغير زواج فأمر بتزويج شـباب النصارى ، ثم أرسل مناد ينادى فى الناس بأن يتمنوا عليه فيحقق له أمانيهم ، فلم يجد .

وقال يحـيى بن سعيـد بعثنى عمر بـن عبد العزيز علـى صدقات إفريقـيا ، فاقتضيـتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فـقيرًا ولم نجد من يأخذها منى، قد أغـنى عمر بـن عبد العـزيز الناس ، فـاشتريـت رقابًا[1] فأعتـقتهم وولاؤهم للمسلمين[2] .

وقـال رجل من ولد زيد بن الخطاب إنما ولى عـمـر بن عبـد العـزيز سنتين ونصف ، فذلك ثلاثون شهرًا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حـيث ترون الفقـراء ، فما يبـرح حتى يرجع بماله يتـذكر من يضـعه فيهم، فما يجده فيرجع بماله قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

وعليـه فإننى أرى أن هـذا القول يدحض المقـولة التى رددها آخـرون بأن آية فيض المال هى من العلامات التى لم تقع بعد ، وإنما أؤكد أن تلك الآية قد وقعت

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٩ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز .

بالفعل وأنه لا علاقة لها بما قاله البـعض أنها من العلامات التى تحدث عندما ينزل عيسى عليه السلام ، وسوف نتعرض لذلك فى حينه إن شاء الله .

وحدثنا مسدَّد حـدثنا يحى عن شعبة حدثنا معبـد سمعت حارثة بن وهب ، قال سـمعت رسول الله ﷺ يقـول : « تصدقوا فـسيأتى عـلى الناس زمان يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها » .

قال مسـدد : حارثة أخو عبيـد الله بن عمر لأمه . قاله أبو عـبد الله . وما يقال أن ذلك سيأتى بنزول عيسى كمـا قال الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة : « ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مـريم . . وفيه يفيض المال » . انتهى قـول مسدد - حارثة .

فصل

ما تقدم على سبيل الاحتمال .

والأولى إعمال الآية التى وقعت فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذلك لأن فيض المال الذى يـقع فى زمن عيسى علـيه السلام ، فـيه كثـرة المال وقلة الناس واستشعـارهم بقيام الساعة ، فلا حـاجة للناس إذًا بالمال بقدر حاجتهـم للاشتغال بقيام الساعة ، وهذا أولى .

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث :
ثالثًا : ما يقع في الزمن المعاصر

أ - رُوى عن الترمـذى قوله : حـدثنا صالح بن عـبد الله حدثنـا الفرج بن فضالة (أبو فضالة) الشامى عن يحيى بن سـعيد عن محمد بن عمر بن على عن على بن أبى طالب قال : قـال رسول الله ﷺ : « إذا قطعت أمتى خمـس عشرة خصلة حل فـيهـا البلاء - قيل ومـا هى يا رسول الله ؟ قـال : - إذا كان المغنم دُوَلاً، والأمانة مـغنمًا ، والزكـاة مغرمًا ، وأطاع الـرجل زوجته وعـق أمه ، وبر صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرزلهم ، وأكرم الرجل مخـافة شره ، وشربت الخمور ، ولبس الحـرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعـن آخـر هذه الأمة أولها ، فليـرتقبـوا ريحًا حمراء أو خـسفًا أو مسخًا » .

ينبـهنا الحديث الشـريف إلى الخصـال الخمس عشـرة التى إذا وقعـت بالأمة المحمدية حل فـيها البلاء ووقع بعض منها سلفـا ولا تزال تتوالى وقوعًا على أعين الناس ، وقد نتـفق على وقوعهـا جميـعًا سواء بسواء فى الوقت المعـاصر والزمن الحديث .

وبالقطع فلقـد سـمعت بأذنى من يـلعن من هذه الأمة السـابقين ومن سـبق السابقـين حتى أن بعض الجهـلاء قد قـذفوا بها آدم أبا الأنبـياء والبـشر محـملينه بجهلهم تبعـة إخراجهم من الجنة بخروجه منها بعد أن أضـله وزوجته الشيطان ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

ب - الإرهاب

روى البخارى فى صحيحه من حديث الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « يتفاوت[1] الزمان ، وينقص العلم ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج » قالوا يا رسول الله أيما هو ؟ قال : « القتل ، القتل » .

ورُوى أيضًا عن البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب ، وعن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « وستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به » .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتى على الناس زمان إلا الذى بعده أشر منه ، حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم .

ولا أرى ضرورة للخوض فى تعليقات من هنا أو هناك باستثناء الإشارة إلى أشهر الاغتيالات التى وقعت فى وقتنا المعاصر وأكبر عملية قتل وتدمير وتخريب فى الزمن الحديث .

فمن أشهر الاغتيالات التى عشناها وسمعنا بها اغتيال الرئيس كيندى الرئيس الأمريكى الأسبق ، محاولة اغتيال رونالد ريجان الرئيس الأمريكى السابق ، اغتيال الرئيس المصرى السادات ، إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل ، رولان كابيلا رئيس الكونغو ، رئيسة وزراء الهند غاندى ، الرئيس اللبنانى لجميِّل ،

(١) يتقارب .

العاهل السعودى فيصل بن عبد العـزيز ، رئيس الوزراء الباكستانى ذو الفقار على بوتو ، ويعتبـر ذلك من أشهر عمليات الاغـتيال لأنها تحمل طابعًا سيـاسيًا ولأنها قـضت على بعض قادة دول العـالم من شـرق العالم إلى غـربه ومن شمـاله إلى جنوبه ، ناهيك عن قضايا القتل والاقتتال الذى يحدث فى العالم بما سيأتى الكلام عنه قادمًا إن شاء الله .

جمـادى الآخره كان الـثلاثاء ٢٤ الرابع والعشـرين من جمـادى الآخرة سنة ١٤٢٢ هـ ، اثنان وعشرين وأربعـمائة وألف من الهجرة الموافق ١١ الحـادى عشر من سبتمبر (أيلول) سنة واحد بعد الألفين من الميلاد وفى التاسعة صباحًا بتوقيت نيويورك بأمريكا .

وقـعت سلسلة من هجـمـات بالطائرات المدنيـة والسـيارات الملغـومـة على واشنطن.

وشملـت الهجمـات الكونجرس (مـجلس الشعب) ، البنتـاجـون (وزارة الدفاع) ومركـز التجارة العالمى والذى يـقع فى شارع وول ستريت بأكـبر عواصم المال والاقتصاد فى العالم ، وكذلك الوزارات الحيوية الأخرى .

وسقطت خـمس طائرات براكبيهـا فى نيويورك وواشنطن وبنسلفانيـا وكامب ديفيد ، وخلف ذلك آلاف القتلى والجرحى وسـيطر الذعر على الحكومة والشعب الأمريكى . وقد أدى ذلك إلى هروب رئيس أكبر وأقوى دولة فى العالم إلى مكان غيـر معلوم وتم إخـلاء البيت الأبيض (مـقر الرئاسـة الأمريكية) وكـل المنشآت الاستـراتيجيـة الأخرى . ومـلأت الأنقاض[1] شوارع العاصـمتين[2] الأمريكيتين

---

(١) بلغت الأنقاض بضع ملايين من الأطنان .

(٢) نقول العاصمتين مجازًا .

الاقتصادية (نيويورك) والسياسية (واشنطن) .

وتوقفت الرحلات الجوية من وإلى أمريكا وأغلقت مطاراتها ، وهرب العاملون بالأمم المتحدة إلى البدرومات .

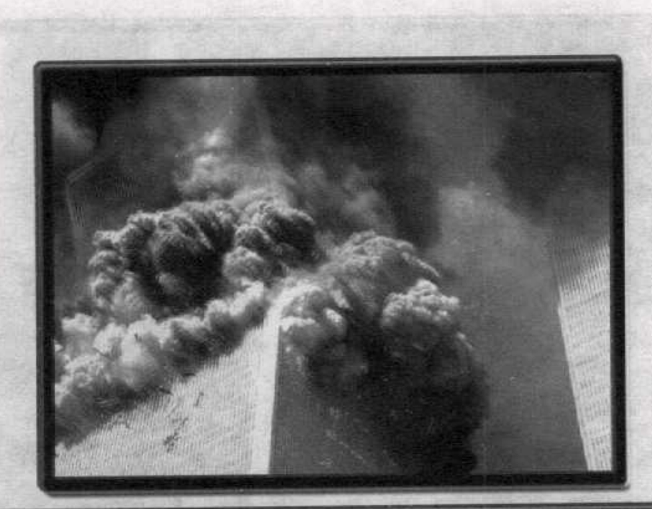
ولم ندرى بعد ما الدوافع التى أدت إلى قيام بعض الأشخاص بخطف الطائرات المدنية بركابها والإقدام بها وبمن على متنها وخاطفيها واستخدامها فى أعمال إرهابية انتحارية ولأول مرة فى تاريخ العمليات الإرهابية أو الحربية ، يتم استخدام الطائرات المدنية .

وفقدت أمريكا فى دقائق بهذه العمليات الانتحارية نصف ما فقدته فى حرب فيتنام سواء من حيث الأفراد أو التكلفة الاقتصادية ويعادل تقريبًا ما فقده العرب من جنوده طيلة الصراع العربى الإسرائيلى .

ولكن رد الفعل الأمريكى بالانتقام سيتوجه إلى تأكيد القوة والهيمنة على كل دول العالم فهذا الأخطبوط الأمريكى هو القطب الأوحد فى عالم وحيد القطب وسنعلم جميعًا بالأحداث فى حينها وعند لحظات وقوعها ، وبالتالى فسوف ينتشر الهرج والمرج والهرج والمرج المضاد وأحذر الهيمنة من الضعيف ، فالضعيف إذا ملك قتل .

❊ ❊ ❊

صورة وتعليق





أحد البرجين الكبيرين بعاصمة المال العالية الأمريكية وقد التحمته وانفجرت به احدى الطائرات المختطفة والنار تشتعل به .وذلك قبل انهياره بدقائق



البرجين بعد انهيارهما وتسويتهما بالأرض بعد أن كانا من ناطحات السحاب وهما من أعلى الأبراج فى العالم .









رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم سعده
رئيس التحرير
جلال دويدار

الأخبار

أسسها مصطفى أمين وعلى أمين سنة ١٩٥٢

٢٤ صفحة
٧٥ قرشا
الطبعة الأولى
مؤسسة أخبار اليوم

أهم وسط بلد
في شارع صبري تاوى
وما زال نهر العطاء يتدفق
خصومات لم يسبق لها مثيل
في أضخم أوكازيون
تشهده مصر
بفروعنا طوال أيام الأسبوع

AL AKHBAR 12 SEPTEMBER 2001

أسود يوم فى تاريخ أمريكا

سلسلة هجمات بالطائرات المدنية والسيارات الملغومة على واشنطن ونيويورك

الهجمات تشمل الكونجرس والبنتاجون ومركز التجارة العالمى والوزارات الحيوية الأخرى

سقوط خمس طائرات فى نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا وكامب ديفيد

آلاف القتلى والجرحى.. والذعر يسيطر على الحكومة والشعب

إخلاء البيت الأبيض وكل المنشآت الاستراتيجية وتلال الأنقاض تملأ الشوارع

فاعتبروا يا أولى الأبصار

يوم صفين - سنوات الخليج
(قياس)

روى عن البخارى قوله :حدثنا أبو اليمـان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تقوم السـاعة حتى تقـاتل فئتـان عظيمتـان يكون بينهمـا مقتلة عظيـمة دعواهمـا واحدة ، وحـتى يبعث دجـالون كذابون قـريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله ، وحـتى يقبض العلم ، ويكثـر الزلزال ، ويتقارب الزمـان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القـتل القتل ، وحتى يكثر المال فيـفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضـه فيقول الذى يعرض عليه لا أرب لى فيه ، وحتى يتطـاول الناس فى البنيان ، وحتى يمـر الرجل بقبر الرجل فـيقول يـا ليتنى مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا ، ولتقومن الساعةُ وهو يليطُ حوضه فلا يُستقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يُطعمها » .

قوله ﷺ : « حتى تقاتل فئتان عظيمتان . . . دعواهما واحدة » .

فثمة كارثتان وقعتا بالأمة الإسلامـية نتج عنها مقتلة عظيمة وتخلف لهما أثر سيء على عالمنا الإسلامى وقعت كارثة قديمًا والثانية حديثًا ونعرض لهما بيانا .

فقديمًا يوم الجمل

قوله ﷺ : « فـئتان » أريد به علىّ ومن معـه ، ومعاوية ومن معـه . قوله ﷺ: « دعواهما واحدة » فجميعهم مسلمون .

ذكر المؤرخون أن عليًا كان مصيبًا فى تـلك الحرب لأن أصحاب معاوية قتلوا عمارًا وكانت دعوة حذيفة بنُصرة الفرقة التى تدعو لأمر علىٍّ فإنها على حق .

ولما بلغ معاوية غلبة علىّ على أهل الجمل دعـا إلى الطلب بدم عثمان فأجابه أهل الشام ، فسار إليه علىٌّ فالتقيا بصفين .

وروى عن أبى مسلم الخُولاَنى أنه قال لمعاويـة : أنت تنازع عليا فى الخلافة؟ أو أنت مثله ؟ قال لا وإنى لأعلم أنه أفضل وأحـق بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا ، وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه ؟

فائتوا عليًا فقولوا له يدفع[1] لنا قتلة عثمان .

فأتوه فكلموه .

فقال علىّ : يدخل فى البيعة ويحاكمهم إلىّ .

فامتنع معاوية .

فسار علىّ فى الجيوش من العراق حتى نزل بصفين

وسار معاوية حتى نزل هناك .

وذلك فى ذى الحجـة سنة ست وثلاثين من الهجرة ، فـتراسلوا فلم يتم لهم أمر فوقع القتال بين الطائفتين المسلمتين .

إلى أن قُتل من الفريقين فيما ذكر ابن خيثمة فى تاريخه نحو سبعين ألفًا وقيل كانوا أكثر من ذلك .

وأخشى من الاستطراد فى تلك السيرة فلست بصدد مـحاكمة علىّ أو معاوية وإنما ذكرت الواقعة على سبيل الاستدلال لرأس الموضوع .

---

(١) المراد : يسلمهم لنا أو يمكننا منهم .

أما ما وقع حديثًا

حرب الخليج الأولى ، وهى ما عرفت بالحرب العراقية الإيرانية ، وما أُسميها (سنوات المرار) وقال بعض سنوات الخليج .

يمارس الاستعمار الحديث أشكالاً من إثارة الفتن على الحدود بين دول العالم الثالث وبخاصة تلك التى تقع فى العالم العربى والإسلامى على السواء .

نظير ذلك على سبيل التمثيل : الصراع الهندى الباكستانى ، والحرب العراقية الإيرانية ، وهذه وتلك من الأدوات التى تمكن الاستعمار من السيطرة والتحكم فى مقدرات تلك الدول لتظل له السيادة وبسط النفوذ فى مناطق شتى من العالم .

ولأن الدول الاستعمارية الكبرى تخشى من الإسلام عدالته ومساواته بين الناس بما يتناقض مع منهاج حياتهم الدنيوية الزاخرة بالعربدة والرأسمالية والأمبريالية كان لابد من إثارة المشكلات ، وافتعال الأزمات وهو الأمر الذى نتج عنه قيام النزاع الذى تطور بسرعة البرق ليأخذ شكل الصراع العسكرى الذى تطور أيضًا وبسرعة هائلة بين الجارتين الإسلاميتين الجمهورية الإيرانية والجمهورية العراقية .

ودارت رحا الحرب لتقضى على إنجازات الشعبين ودمرت عديدًا من المنشآت الحيوية وحدثت مقتلة عظيمة بين جيشى الشعبين راح ضحيتها الكثير من أبناء المسلمين ، حتى أن القيادة السياسية لكل دولة منهما أصدرت أوامرها بتجنيد الأطفال والرجال فوق سن الخمسين من العمر .

وانتهى القتال بين الإسلاميتين دون أن تحقق دولة منهما نصرًا يذكر على الأخرى .

ومـات مئـات الآلاف من القـتلى بين الجـانبين كلهم مسـلمون وعم الدمـار والخـراب أغلب المدن فى الدولتين ، وتيـتم الأطفـال ، وتأرملت الـنساء وفـقـد المسلمون زخـرًا هائلاً من خيرة جنودهم فى المعركـة وكذلك فقدوا عـتادًا عسكريًا جمّاً فى أطول حرب دارت فى التاريخ استمرت ثمانى سنوات .

وبذلك فإن التـاريخ قد قدم لنا حـرب الجمل أو هى (حرب صـفين) قديمًا وحديثًا حرب السنوات الثمانى .

وصدق رسول الله ﷺ القائل : « لا تقوم الساعة حتى تقاتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة . . إلخ » .

❊ ❊ ❊

د - نقصان الأرض

قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [الرعد : ٤١] .

أذكر نسخا ما جاء فى كتاب مفاتيح الغيب(١) للإمام فخر الدين الرازى .

قال : اعلم أنه تعالى لما وعد رسوله بأن يريه بعض مـا يعدهم أو يتوفاه قبل ذلك ، بين فى هذه الآية أن آثار حـصول تلك المواعـيـد وعلامـاتها قـد ظهرت وقويت .

---

(١) سمى بعمدة التفاسير - وبالتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى .
الجزء السابع عشر فى كتاب مفاتيح الغيب ص ٢٦٦ وبعدها .

وقوله أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ، فيه قولان:

القول الأول : المراد أنا نأتى أرض الكفرة ننـقصها من أطرافـها ، وذلك لأن المسلمين يستولون على أطراف مكة ويأخـذونها من الكفرة قهرًا وجبـرًا ، فانتقاص أحوال الكفـرة وازدياد قوة المسلمين ، من أقوى العلامـات والأمارات على أن الله ينجز وعده .

ونظير قـوله تعالى : ﴿ **أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٤٤] .

وقوله ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ** ﴾ [فصلت : ٥٣] .

القول الثانى : وهو أيضًا منقول عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن قوله تعالى : ﴿ **نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا** ﴾ المراد موت أشرافها وكـبرائها وعلمائها وذهاب الصالحين والأخيار .

قال الواحدى : وهذا القول وإن احـتمله اللفظ إلا أن اللائق بهذا الوضع هو الوجه الأول .

ويمكن أن يقال هذا الوجـه أيضًا لا يليق بهذا الموضوع ، وتقـريره أن يقال : أولم يروا ما يحدث فى الدنيا من الاختلافات :

خراب بعد عمارة ، وموت بعد حياة ، وذل بعد عز ، ونقص بعد كمال .

وإذا كانت هذه التغيرات مشاهدة مـحسوسة ، فما الذى يؤمنهم من أن يقلب الله الأمر على هؤلاء الكفـرة فيجـعلهم ذليلين بعد أن كانوا عـزيزين ، ويجعلهم مقهورين بعد أن كانوا قاهرين .

وعلى هذا الوجه فيحسن اتصال الكلام بما قبله .

وقيل : « نـنقصهـا من أطرافهـا » بموت أهلها وتخـريب ديارهم وبلادهم ، فهؤلاء الكفرة كيف آمنوا من أن يحدث فيهم أمثال هذه الوقائع !

ثم قال تعالى مؤكدًا لهذا المعنى : ﴿ **والله يحكم لا معقب لحكمه** ﴾ معناه لا راد لحكمه والمعقب هو الذى يعقبـه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب .

وقال تعالى : ﴿ **بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٤٤] .

أما قوله تعالى : ﴿ **أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا** ﴾ ، فالمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى إتيان الأرض من جوانبها نأخذ الواحد بعد الواحد ، ونفتح البلاد والقرى مما حول مكة ، ونزيدها فى ملك محـمد ﷺ ونميت رؤساء المشركـين المتعين بالدنيـا ، وننقص من الشرك بإهلاك أهله .

أما كـان ذلك عبـرة فيؤمنوا برسـول الله ﷺ ويعلموا أنهم لا يـقدرون على الامتناع من الله وإرادته فيهم ولا يقدمون على مغالبته ثم قال : ﴿ **أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ أى فهؤلاء الغالبون أم نحن ؟ وهو استفهام بمعنى التقرير والتقريع والمعنى بل نحن الغالبون وهم المغلوبون .

وفى تفسير النقصان وجوه :

أحدها : قال ابن عباس فى رواية أخرى يريد نقصان أهلها وبركتها .

ثانيها : قال عكرمة تخريب القرى عند موت أهلها .

ثالثها : بموت العلماء . وهذه الرواية إن صحت عن رسول الله ﷺ فلا يعدل عنها وإلا فالأظهر من الأقاويل ما يتعلق بالغلبة ﴿ **أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ .

رابعـها : قال ابن عـباس ومـقاتل والكلبى رضى الله عنهـم ننقـصها بـفتـح البلـدان .

والذى يليق بذلك أن ينقصها عنهم ويزيدها فى بلاد الإسلام .

قال القـفال : نزلت هذه الآية فى كـفار مكة ، فكيف يدخل فـيهـا العلماء والفقـهاء . فبين تعـالى : أن كل ذلك من العبر الـتى لو استعـملوا عقلهم فيـها لأعرضوا عن جهلهم .

انتهى ما جاء وما أورد البخارى فى كتابه (مفاتيح الغيب) .

وأقول : « أولم يـروا » ، « أفلا يرون » قيـاسًا على قوله تـعالى : ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ الآيات [الغاشية : ١٧ - ٢٠] .

وقوله : ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات : ٢١] .

هو استفـهام بمعنى الإنكار عليهم والتهكم بهم ، والتـقرير على حدوث تلك الآيات ، وكذلك قال فى مواضع أخرى ﴿ **أفلا يتدبرون** ﴾ ﴿ **أفلا يعقلون** ﴾ .

ومؤدى ذلك دعـوة للنظر والتبصـير وإعمـال العقل كقـوله تعالى : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد : ٢٤] .

ورب متدبر لمعنى الآيتين المتحدث فيهـما لا يجد أن القول قد انتهى بما انتهى إليـه البخـارى فى كتـابه ، بل إنه ينتـهى بانتهـاء العلم ورفعـه من الأرض بموت العلماء، وإنما نزل القرآن الكريم وفيه : (خبر ما قبلنا ، وحكم ما بيننا ، ونبأ ما بعدنا) فذلك قول نبينا ﷺ .

فإنه إذًا جامع مـانع لكل أمور الدنـيا والديـن : ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

ويعنى ذلك ضرورة إعمال النظر والبصيرة إلى ما يلحق بالأرض من نقصان، والذى يُنقص اليابسة هو الماء .

ويحدث ذلك كنتاج طبيعى لمتداخلات نبينها على النحو التالى :

قبيل انقـضاء القرن العشـرين بسنوات قليلة فتش الباحثـون عن سبب علمى منطقى يفـسـر ظاهرة ارتفاع درجـات الحـرارة على سطح الأرض وتلك مـشكلة المشكلات فى وقتنا المعاصر .

إلى أن اهتدى البـاحثون إلى حدوث خلل فى طبـقات الجو العليا فـى سماء كندا وهو ما عرف بعد باسم « ثقب طبقة الأوزون » .

وللتعرف على أبعاد المشكلة يلزم التعريف بالأوزون ودوره فى الغلاف الجوى الخارجى لسطح الأرض .

قال العلماء والبـاحثون أن الأوزون : عبارة عن طبـقة غازية تتكون من ثلاثة جزئيات أوكسچين « O.3 » تسمى الأوزون ، تحـيط هذه الطبقـة بكوكب الأرض عمومًا ، وهى تمنع دخول الأشعة والأبخرة الكونية الضارة .

فكانت تلك إذًا مشكلة لا تزال نتائجها السلبية نعانى منها يومًا بعد يوم وعامًا بعد عام ، وقد شغلت الخاصة من العلماء والعامة من الناس بحثًا ونتائج .

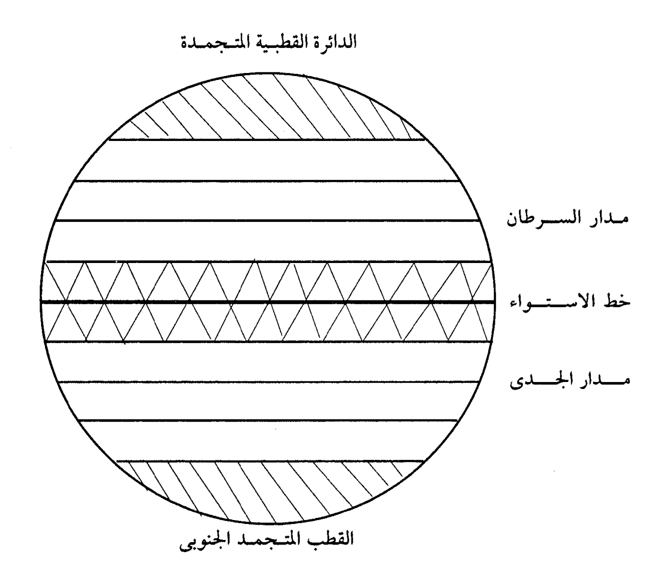
ويذكر أن أخطـر تلك النتائج هى ارتفـاع الحرارة على سطح الكرة الأرضـية كنتيـجة مبـاشرة لتآكل طبـقة الأوزون حيـث أدى هذا التآكل إلى دخول الأشـعة والأبخرة الكونـية الضارة وهذه مـسرطنة لجلد البـشر أدى ذلك بدوره إلى انتـشار ظاهرة الحرائق ذاتية الاشتعال والتى تحدث بـشكل عشوائى فتارة فى أقصى الشرق فى استراليا وأقـصى الغرب بأمريكا ثم الشمال الأوروبى البارد مـثل فرنسا وتحدث بالمناطق الدافئة عند البحـر المتوسط كحرائق اليونان وقبرص وأسبـانيا وإيطاليا حتى

بلاد الجليد لم تسلم من الحرائق كبعض دول الاتحاد السوفيتى السابق .

ويعتبـر هذا عاملاً مسـاعدًا آخر فى ارتفاع درجـات الحرارة على سطح الكرة الأرضية إذا ما أخـذنا فى حساباتنا الانبعاثات الحرارية الناتجـة عن عوادم السيارات والمصانع والثورة الصناعـية الهائلة ، وصواريخ الأقمار الـصناعية والتلوث الناتـج عن الحروب التى يئن بها الـعالم هنا وهناك وكل أولئـك أدى إلى حـدوث ظاهرة (الاحتباس الحرارى)[1] وسيأتى الكلام عنها إن شاء الله .

وفطن العالم مؤخرًا إلى النتائج السلبية السـيئة والمدمرة لهذه الظاهرة فعقدت مؤتمرات دوليـة باتت تدرس أدوات للحد من الكارثة ونتائجـها إنقاذًا للبـشرية من هلاك محقق إلا أنه ﴿ **إن أجل الله لآت** ﴾ .

(١) الاحتباس الحرارى ، ليست بظاهرة طبيعية وسيأتى الكلام عنها .


الدائرة القطبية المتجمدة
مدار السرطان
خط الاستواء
مدار الجدى
القطب المتجمد الجنوبى

والثـابت أن القول : ننقـصهـا من أطرافهـا يكون المراد به طغيـان الماء على اليابسة ويـحدث ذلك إثر ذوبان جبال الجليد بـالمحيط القطبى المتجمـد الشمالى ، والمحيط القطبى الجنوبى أو يسمى الدائرة القطبية المتجمدة الجنوبية[١] .

فَيُصَبُّ الماء فى المحيطات : وذلك ينجم عن ارتفاع درجات الحرارة سواء فى طبقات الجو العليا أو تلك الملامسة لسطح الأرض .

ولزم حتما ضـرورة الخوض فى هذا الميدان البحثى بقصد صـحة إسناد البيان ونثبت بالبحث أن بعض جـبال الجليد تبلغ عند قمم بعضـها ارتفاع (٣٨٠٠) - ثلاثة آلاف وثمانمائة مـتر تقريبًا - وحال ذوبان تـلك الجبال بشكل متـدرج سينتج عنها ارتفاع منسوب المياه فى البحار والمحـيطات ما يربو على الخمسين مترًا ، وقد يصل إلى ٨٠ مترًا ثمانين مترا حال ذوبان معظم جبال الجليد وليس كلها .

وماذا سيفعل أهل الأرض إذا ارتفع منسـوب الماء بالبحار والمحيطات وبالتالى فى الأنهار لأكـثر من ٨٠ م ثمانين مـتر وهو مقـدار يعادل ارتفاع عـمارة أو برج سكنى يتكون من ٢٧ سبعة وعشرين طابقًا تقريبًا ؟

وحتمًا فإن ذلك يؤثـر على الجغرافيا والديموجرافيـا ، وأيضًا على الحضارات والتاريخ وشتى مناحى الحياة البشرية والحيوانية والنباتية .

والمعلوم أن سواحل الأرض أدناها وقمم الجبال أعلاها .

فالماء سـيلتهم اليابسة بينمـا الإنسان يبحث عن مأوى آمـن فيعمر الـصحراء اختيارًا أو تُعمر هى به إجبارًا .

وذاك قول الله تعالى : ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت** ﴾ والجبال من الأرض (**ورواسى فيها أن تميد**) .

(١) يعرفه البعض أيضًا بقارة انتراكتيكا .

وما نذكر ليس من درب الخيال أو نسجًا لأفكار ، فالمتاح لدينا من الكتب أفاد بعضه عن اختفاء جزر بأكملها كانت تتوسط حوض البحر المتوسط .

قوله تعالى : ﴿ **والله يحكم لا معقب لحكمه** ﴾ .

هو حكم الله بانتهـاء العالم وزوال الدنيا ولا طائل من استـعجاله ولا منجى من قدره ولا راد لقضائه .

قوله : ﴿ **أفهم الغالبون** ﴾ .

هو استفهام كما ذكر بمعنى الإنكار عليهم والتقرير على أن الله هو الغالب ، وأمره كائن لسيادة أمره تعالى وقهره على ما كان دونه.

فالذى قهـر الخلائق بالإيجاد والتحـصيل ، لهو قادر على إحـداث الصيرورة والتغير ، وذلك بأن يذهب الموجـود فى اللاوجود ، أو أن يحول العلم المطلق إلى مجهول مطلق فإن كان لهم أن يمنعوا أمر الله ﴿ **إنا منتظرون** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ .

[الأنبياء : ١٠٤] .

فيه تصريح إلى زوال الأرض والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومنه يستفاد أن الأرض سيدمـرها تحت الماء ، وهى ظاهرة تُعرف أحيانًا ببخر المياه .

وأعتبر هذه من أخطر عوامل التعرية وأشدها آثارًا ونتائج .

﴿ **والله يحكم لا معقب لحكمه** ﴾ .

❊ ❊ ❊

هـ - الباعوض النووى

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا[1] وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٤] .

اعلم أن تثبيت المعانى بالأذهان لا يحصل إلا إذا ضرب لها الأمثال ، وللأمثال دور مؤثر باعتبارها أحد أدوات الأسلوب القصصى فى بيان أنباء من قبلنا، وحال ما بيننا .

ويبين ذلك قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ﴾ .

[الأعراف : ١٠١] .

وقوله : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ [الأعراف : ٧] .

وللتأكيد على ذات المعنى بين الحق سبحانه وتعالى أهمية الأمثال فى البيان فقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ [إبراهيم : ٢٤] .

وقال : ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون ﴾ [إبراهيم : ٢٥] .

وقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ [يس : ١٣] .

---

(١) التزخرف : التـزين وبيان كمال حسن الشيئ . و(الزخـرف) الذهب كقوله : ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ زخرف الأرض ألوان نباتها ، وزخرف البيت متاعه ، وزخرف القول حسنه بتزيين الكذب وجمعه زخارف الزَّخرفة فى تزيين الأشياء بالنقش أو التطريز أو التطعيم وغير ذلك .

وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

[البقرة : ٢٦] .

وقال : ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

[النور : ٣٥] .

مما تقدم يتضح أهمية الأمثال فى تثبيت المعانى بالأذهان لسلاستها على العقول ولأن النفس تألف بالفطرة المثل باعتباره أسلوب قصصى .

واعلم أن الله تعالى لما ضرب لنا الأمثال ، لم يكن لما ذكرنا فحسب بل لشغل الألباب بقدرته تعالى على بيان الإعجاز وكمال القدرة ونبل الغاية .

ولعله تعالى لما ضرب لنا الآية مثلا يبين زخرف الحياة الدنيا كأن المراد القول: إن الذى هو مثل الحياة وعرض الآية لقوم لعلهم يتفكرون .

❊ ❊ ❊

ولعله تعالى إنما ضرب لنا هذا المثل لمن لا يؤمن بالمعاد ، وذلك لأنا نرى الزرع الذى قد انتهى إلى الغاية فى التربية ، قد بلغ الغاية فى الزينة والحسن ثم يعرض للأرض المتزينة به آفة ، فيزول ذلك الحسن بالكلية فكان ذكر هذا المثال ليبين لنا على أن من قدر على ما بيان ما سبق قوله لهو قادر على إعادة الإحياء فى الآخرة ليجازيهم على أعمالهم .

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .

[النجم : ٣١] .

والمراقب للشواهد والملاحظ للنتائج يجد أن الحياة الدنيا أمورها ، متتابعة فى منظومة مثيرة ، فالماء ينزل من السماء حتى ينبت الزرع مما يأكل الناس والأنعام :

﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُم ﴾ [طه : ٥٤] .

ويمن الله على الناس بفيض من عطاياه ، حتى يتم للأرض زخرفها وإظهار كمال حسنها وجمالها .

وللتدليل على ذلك فلعلنا ننعم جميعًا بالتقدم التكنولوچى الهائل السريع فى تطوره بما يخدم البشرية فى كافة الاتجاهات والميادين .

هذا التطور الذى طال كل الوسائل بكل الأدوات من الدراجة إلى الأقمار الصناعية التى تسبح فى الفضاء كان له أثر عظيم فى تطور البشر سلوكًا وحضارات حتى أن بلادًا لم يسمع بها من قبل أصبحت تتسيد العالم بما ملكت من تكنولوچيا متقدمة .

ولقد تزينت الأرض وهى الآن آخذة فى التزين والتجمل بمعدلات أسرع فهى تبدو الآن فى أجمل صورها ولكنها لم تصل بعد إلى أكمل صورها .

فالمعلوم أن الجبال من الأرض . . وإن بدأت مؤخرًا عملية إعمارها وقد ساعد على ذلك الاكتشافات المعدنية بإخرج البترول . . وضيق المساحات السكانية بعد أن كاد أن ينتهى التوسع الرأسى والأفقى على السواء ومن أجل زيادة الرقعة الزراعية عن طريق استصلاح الأراضى كما هو الحال فى مشروع حلايب وشلاتين بجنوب الوادى ، ومشروع شرق التفريعة وسابقًا مشروع الوادى الجديد بمصر .

ومع ظهور عصر التكنولوچيا على سطح الأرض وأثر ذلك فى غزو الفضاء والتعرف على أعماق الأرض وكشف أسرارها واستغلال كنوزها ظهرت أيضًا قوى جديدة لم يسمع بها من قبل طورت هذه القوى إمكانياتها بسرعة هائلة وتقنية خطيرة ، ودارت معارك وحدثت صراعات ونشبت حروب نسوق لها أمثالاً .

أولاً : الحروب الصليبية على الشرق تحت راية الصليبية بينما الأمر فى أصله

تنافس استعمارى بين فرنسا وبريطانيا .

ثانيًا : تقسـيم مناطق النفوذ الاستعـمارى بين كل من (بريطانيا ، فـرنسا ، إيطاليا ، أسبانيا ، البرتغـال ، هولندا) وذلك من شرق العالم إلى غربه ، وأشده قوة وأعظمه أثرًا سيـئًا كان ذلك الاستعمار الذى احـتل بلدان العالم العربى كله ، ونَهَبَ خيـرات إفريـقيـا وباع أهلها عـبيـدًا فى أسواق النخـاسة بأوروبا وأمـريكا الشمالية .

وأيضًا الاستعمار الانجليزى الذى دانت له رقاب دول شرق آسيا وعلى رأسها شبـه القارة الهندية التى تمزقت أوصالهـا وتحولت بعد ذلك إلـى دول استخدمـها الاستعمار مثل (الهند ، باكستان - بنجلاديش) .

والثابت أن الأرض كلها أخذت طريقها نحو كـمال التزخرف والجمال ، نجد أهل الأرض وقد ظنوا أنهم قادرون عليها بما ملـكت أيديهم من أسلحة حديثة لها قوة تدميـرية هائلة وخطيرة بما فيهـا ما عرف بالصواريخ عابـرة القارات والتى لها القدرة على حمل رؤوس نووية .

وقد ذهب وقت الحضارات القـديمة كالفارسية والرومانيـة والهندية والبابلية ، وغيـر ذلك من الحضارات القديمة العـظيمة ، وصارت على السـاحة الآن دول لم يسمع بها قبل بداية الحرب العالمية الثانية .

مثل أمريكا والاتحاد السوفيتى الذى انهار سريعًا قبل نهاية القرن العشرين .

وخلف الاستعـمار القديم والحديث على السواء صـراعات ليست بين الدول المتجاورة فحسب بل وبين أبناء الشعب الواحد نظير ذلك :

العداء الهندى الباكـستانى ، ومشكلة كشمـير ، الحرب الفيتناميـة الصينية ، الروسـية الأفـغانيـة ، والنزاع الروسى اليـابانى ، والحـرب العراقـية الإيرانيـة ،

البريطانية الأرجنتينية ، الحرب الأمريكية ضد اليابان وضرب نجازاكى وهيروشيما بالقنابل الذرية فى سابقة هى الأولى فى تاريخ الحروب القديمة والحديثة ، ونزاع إيران والإمارات حول جزر طنب الصغرى والكبرى وأبو موسى ،والحرب الليبية التشادية ، والحربين العالميتين الأولى والثانية ، والصراع العربى الإسرائيلى ومن أشهره حرب العاشر من رمضان ،السادس من أكتوبر عام ثلاثة وسبعين .

يضاف إلى ذلك : المذابح العرقية بين رواندا وأوغندا والتى راح ضحيتها مليونى قتيل ، وحرب إبادة المسلمين فى بلاد الشيوعية والصليبية كما هو الحال فى الشيشان والبوسنة والصرب والألبان ، ومقدونيا والألبان ، والحرب الأهلية اللبنانية، فضلاً عن الحرب اللبنانية الإسرائيلية ، وصراع الكوريتين الشمالية والجنوبية ، وتمرد الألوية الحمراء فى إيطاليا ، والجيش الجمهورى الإيرلندى ، والمنشقين فى إقليم الباسك الأسبانى ، والجيش الأحمر فى اليابان ، والمذابح شبه اليومية بالجزائر والصراع العنصرى بجنوب إفريقيا ، وبعض دول الوسط الإفريقى، ومذابح ماركس حاكم الفلبين ضد المسلمين ، والحرب الصومالية الشهيرة التى مزقت الصومال إلى ثلاث دول ، وقتال اليمن شماله وجنوبه والجنوب السودانى المنشق .

مما تقدم يتضح بالبيان أنه ثمة ارتباط وثيق بين التطور التكنولوجى الآخذ فى الزيادة ،لتزداد الأرض جمالاً وزخرفة وبين التطور الهائل والخطير[1] فى أدوات الحرب الحديثة ووسائلها سريعة التدمير .

فإذا ما تم للأرض بما فيها الجبال تمام وكمال التزين والتزخرف وإذا ما ملك

(١) دخلت الهند والباكستان مؤخراً نادى القوى النووية جنبًا إلى جنب مع أمريكا وفرنسا وبريطانيا وروسيا وألمانيا .

أهل الأرض ترسانات الأسلحة النووية والتقليدية وظنوا أنهم قادرون عليها ، فلينتظروا أمر الله بالهلاك .

فقوله تعالى : ﴿ **وظن أهلها** ﴾ لا يعنى ظاهرًا أنهم توهموا بأن لهم القدرة فحسب بل مارسوا ذلك سلوكًا وعملا فكان التقدير للقول أنه ومارس أهل الأرض الفساد عليها بالقتال والاقتتال لما ملكت أيديهم من وسائل وأدوات تدميرية متقدمة .

يومئذ (**يأتى أمر الله**) كقوله سبحانه : ﴿ **أتاها أمرنا** ﴾ وذلك ما يبينه قول ابن عباس رضى الله عنهما : يريد عذابنا ، والتحقيق إن المعنى أتاها أمرنا بهلاكها .

وإذا وقع القول : ماذا يمكن لمن ظن أن له القدرة على إفساد الأرض وفناء العالم وأولئك هم من ملكوا ترسانات الأسلحة المتقدمة والقوى النووية ، أولئك الذين يستطيعون أن يبيدوا شعبًا بأكمله بمجرد الضغط على زر فى قاعدة إطلاق للصواريخ عابرة القارات .

فإذا وقع القول ﴿ **أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا** ﴾ [1] ستتحول حينئذ القوى النووية إلى ما دون البعوض النووى ويستقر فى الأفئدة والألباب المراد من قوله تعالى : ﴿ **فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس** ﴾ وذلك بغير حاجة أو ضرورة إلى اجتهاد رأينا أو نقل لقول سابق .

وإن توالى الآيات المنظومات يفسر بعضه بعضًا فذلك قوله تعالى : ﴿**كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** ﴾

---

(١) سبق بيان ذلك ضمن الحديث فى المبحث الثانى .

ج - ما يحدث للعراق، والشام، ومصر

روى مسلم من حـديث زهير عن سهـيل عن أبيه عن أبى هريرة قـال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مُنـعت العراق درهمهـا وقفـيزها ، ومُنعت الشـام مُدْيَها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم - قالها ثلاثًا شهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمه » .

ووقع على أعينـنا فى أيامنا هذه حقائق مـفادها ، ترجـمة مفـردات الحديث المتقـدم إلى واقع فعلى ووقع مـا أخبر به الرسـول ﷺ عن العراق والشام ومـصر سواء بسـواء .

فالعـراق بعد خـروجه من حـرب السنوات الثمـانى قد ازداد خبـرة ميـدانية قـتاليـة، فـضـلاً عن الدعـم المالى والعـسكرى المقـدم له من مـجلـس التعـاون الخليجى وعـلى رأسهم ما قـدمته كـل من الكويت والمملكة السعـودية ، والاتحاد السوفيتى[1] حينئذ وذلك خلافا للدعم المعنوى والإعلامى من الدول العربية وكذلك مسـاندة بعض دول الغـرب للعراق حـتى يتمكن من إجـهاض الثـورة الإسلامـية الإيرانية وتمكين منظـمة مجاهدى خـلق المعارضة والموجـودة فى العراق من حكم إيران .

ولما كان العراق يمتلك هذه الذخيرة من العتاد والعـدة والأفراد والخبرة القتالية بما يعد خطرًا على مصالح الغرب فى المنطقـة خاصة فى ظل وجود دويلة إسرائيل وخاصة بعد أن طور العراق صـواريخه بحيث تكون تل أبيب فى المدى المؤثر لهذه

(١) حدث ذلك خشية ازدياد نفوذ الثورة الإسلامية فى إيران .

الصواريخ وكـذلك أيضًا نظام الحكم العلمانى فى دولة تركـيا الحدودية مع شـمال العراق حيث بها قواعد دائمة لحلف الأطلنطى وبالتالى كان حتما أن يتآمر المتآمرون على العراق ليُمنع العراق درهمـها وقفيزها فـدبرت له بإحكام كبير عملية اقـتحام الكويت ، وابتلع الرئيس العراقى الطعم[١] واقتحم العراق الكويت ، وكانت البداية ولسنا فى مقام الحـديث عن أسباب ودوافع النظام العراقى أو محاكـمته ، إلا أننى أتعرض مباشرة للنتائج :

أولاً : تكوين تحالف دولى بغـية تحرير الكويت فى ظاهره بينما باطـنه يضمر تدمير العراق عـسكريًا واقتصاديًا بما فى ذلك بنيته التحتـية من المرافق العامة وذلك بزعامة مدبرا المؤامرة أمريكا وانجلترا وقد كان لهم ما تحالفوا عليه .

ثانـيًا : تمكنت أمـريكا من تكوين قـاعدة عـسكرية دائمة لـها بمنطقـة الخليج الأمـريكى (العـربى سـابقًا) لحـصـار العـراق وضـربه وإذلاله ولإرهاب الدولة الإسلامية فى إيران .

ثالثًا : تم تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق فرض عليها حظرًا جويًا شاملاً .

رابعًا : فُرِضَ على العـراق حظرًا اقتـصاديًا شـامـلاً بما فى ذلك حظر توريد الأدوية والأغذية مع استمرار القصف بالنيران لمصانع الأدوية وصوامع الغلال .

خامسًا : تم تجربة أسلحة بيولوجية وكيـماوية أمريكية وبريطانية الصنع وذلك لأول مرة فى بيان عملى كان ضحيـتها الشعب العراقى والطفلة مريم[٢] خير شاهد على ذلك .

---

(١) إن صح هذا التعبير .

(٢) الطفلة العراقيـة التى أصيبت بالسرطان من جراء استـخدام الأسلحة البيولوجيـة ضد العراق وقد سمع بها العالم كله .

هذا بعض من كل وإن معـاناة العراق أعظم هولاً وأشد وطئًا من أن نغطيـها بكلمات فى سطور أو صفحات .

فكيف إذًا تقوم حياة أو أن تكون لشعب ضُرب عليـه حصار اقتصادى وحظر جوى بل وتهديد من يساعد العراق من الدول الأخرى بفرض ذات الحصار عليها ، فلا تجارة إذاً ولا بيع ولا شراء ولا علاج ولا حـياة ، والأصح أن نقول أن العراق يحتضر الآن والله تعالى لنا وله .

فمنـذ عشر سنوات مـضت ولا يزال العراق يخـرب بصورة روتينيـة وبشكل يومى وبأسلوب مأساوى حتى ساعة كتابة هذه السطور .

وقوله ﷺ : « إذا منعـت العراق درهمهـا وقفيـزها » فقد وقـع القول على أعيننا فى زمننا هذا .

والقفيز : فى بطن اللغة هو (المكيال) وحدة كيل كان يكال به قديمًا يختلف مقداره فى البلاد ، ويعادل بالتقدير المصـرى الحديث ستة عشر كيلو جرامًا ، ومن الأرض قدر مائـة وأربع وأربعين ذراعًا ، حديدة منعقفـة يدخل فيها لسـان القفل ونحوه (ج) أقفزة .

قوله ﷺ : « ومنعت الشام مُديها ودينارها » .

المدية : فى أصل اللغة : هى الغاية .

وروى عن النبى ﷺ أنه قـال : « اللهم بارك لنا فى شـامنا وفى يمننا » قـاله ثلاثًا .

وإذا كانت مصر قد شرفهـا الله تعالى بصريح الذكر فى القرآن الكريم إلا أن الشام قد وردت تلميحًا وضمنا فى قوله تعالى : ﴿ **رحلة الشتاء والصيف** ﴾ فكنى عن الشام برحلة الشتاء ، وعُبر عن اليمن برحلة الصيف .

وقال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [التين : ١] .

والشام قبلة الأنبياء والمصلين فقد غايتـه بتحويل القبلة إلى البيت الحرام كقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

فقديمًا تحويل القبلة فى شهر شعبان السنة الثانية من الهجرة .

وحديثًا فبعد تقطيع أوصال الشام إلى دول لم تكن لتعرف لها أسماء من قبل أصبح لكل دولة حدود سـياسية منفصلة ، فقـولنا لأن بلاد الشام يعنى الذكرى لما كان .

وقلب الشـام فلسطين ، فقـد فيـها الدينـار وحل محله الشِّيكل الإسـرائيلى ولعلك تلاحظ معى استحالة تمكين المسلمين من زيارة المسجد الأقصى بغير تصريح من السلطات الإسرائـيلية وكذلك كـان التعامل مع المسـيحيين إذا أرادوا التـقديس ومنعت الشام مُديها ودينارها .

وصدق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ .

قوله ﷺ : « ومنعت مصر إردبها ودينارها » .

نبين :

الإردب : مكيال يسع أربعة وعشـرين صاعًا أو ست ويبات (جَمعُهُ) أرادب أو هو وحدة لكيل القمح والغلال .

الدينار : نقدُ ذهب ، ضـرب فى الدولة الإسلامـية ، وهو اليـوم عملة فى بعض الدول العربية ومنه جاء .

دنَّر الذهب : ضربه دنانير .

دنر الثوب : وشاه بالدنانير .

تدنَّر وجهه : أشرق كالدينار .

ويعلمُ العالم القديم والحديث أن الإمبراطوريتين القديمتين الفارسية والرومانية، وهما فى وقتهما كانتا أقوى وأعـظم مما عليه القوتين العظيمتين فى عصرنا الحديث (أمريكا وروسيـا) يُعلم أنهما كانتا تعـيشان على القمح المصرى إلا أن مـصر قد وقعـت نهبًا فى العـصر الحـديث للاستـعمـار الفرنسى والانجليـزى الذى بدأ سنة ١٨٠٧ م (سنة ألف وثمانى مائة وسـبع من الميلاد) وانتهى بتنفيذ اتفـاقية الجلاء عام ١٩٥٤ سنة (ألف وتسعـمائة وأربع وخمسين من الميـلاد) وسبقه الاستـعمار التركى على يد سليم الأول .

وقد قضت بريطانيا أثناء احتلالها لمصر على الدولة العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبانتهـاء الحكم العثمانى لمصر انتهى عصـر الدينار وحل محله عملة ورقية عُرفت بالجنيه[1] .

ونتج عن الاستعمار الذى دام لمصر مـا يربو على السبعين عامًا أن عم الفساد وانتـشر الجـهل وتخلفت الزراعة والصـناعة طبـقًا لمخططات ومؤامـرات من صنع الاستعـمار لا زال بعضها نافذ إلى الآن ، يُعَدُّ من أخـطرها هجرة الأيدى العاملة بالزراعة إلى أعمـال أخرى تتسم بالرفاهيـة ، كذلك الهجرة الداخليـة المتمثلة فى هجرة أبناء الريف إلى المدينة .

وكان لذلك بالتبعية أن إنتاج مصر من الحبوب لا يكفى استهلاكها المحلى وإن حاولت الدولة خلط القمح بالذرة فى محـاولة لسد العجز الناتج عن نقص الإنتاج

(١) سمى كذلك نسبة إلى غينيا بالقارة الإفريقـية حيث سرقت بريطانيا الذهب من غينيا وجعلت منه غطاء نقديًا لعملتها ، فى بريطانيا وكل مستعمراتها حول العالم .

وزيادة الاستهلاك .

كما لجـأت الدولة إلى إدخال بعض نظم الرى الحديثـة فى عملية اسـتصلاح الصحراء لزراعـتها وتعمـيرها وذاك قوله : ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخـرفهـا وازينت** ﴾ وصدق القائل ﷺ : « إذا منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم » .

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث :

رابعًا : ما يقع فى زمن المستقبل

جوامع الكلم بيان وتعليق

قال الإمام أحمـد حدثنا وكيع عن النهاس بن فهم ، حدثـنى شداد أبو عمار عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « ست من أشراط الساعة : موتى وفتح بيت المقدس وموت يأخذ فى الناس كقعاص الغنم ، وفتنة يدخل حربها بيت كل مسلم وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسـخطها وأن يغدر بثمانين بندًا تحت كل بند اثنا عشر ألفًا » .

روى الحديث بأكثر من رواية ومن غير طريق واحد .

فمن الأشراط التى حددها رسول الله ﷺ وبينها ضمن هذا الحديث قوله ﷺ موتى فلقد مات ﷺ .

وفتح بيت المقدس . وفُتِحَ بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة على يد خالد بن الوليد فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، .

ثم استطاع صلاح الدين الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر سنة ٥٨٣هـ فى يوم الجمـعة السابع والعـشرين من رجب سنة خـمسمـائة وثلاث وثمانين من الهجرة الموافق ٤ / ٧ / ١١٨٧ م الرابع من يوليو سنة ألف ومـائة وسبعة وثمانين من الميلاد استطاع أن يفك أسر بيت المقدس ويحرره من أيدى الصليبيين ولا أعتقد أن بيت المقدس يمكن تخليصه من اليهود إلا بنزول نبى الله عيسى عليه السلام كما سيأتى الكلام عن ذلك فى حينه إن شاء الله تعالى وموت يأخذ فى الناس كقعاص

الغنم[١] ، ويعنى بذلك الموت المفاجئ فقعاص الغنم هو ذلك الرامى الذى يصيب الغنم طعنًا برمحه فى غفلة الراعى والكلب وإن قال بعض بأن المراد هو موت الشباب .

وفتنة يدخل حربها بيت كل مسلم : فإن قيل أنها أدوات الطرب والغناء من مذياع ومسجل وتلفاز فلا حرج فى ذلك : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ .

[لقمان : ٦] .

وما نعانيه نحن الآن من تحول الفتاة المسلمة إلى كاسية عارية وارتداء زى يظهر العورات تحديدًا وكأنها ترتديه تحت الجلد ذاك الذى عرف بالاسترتش[٢] وهؤلاء عشرات الآلاف من المسلمين وقد حجزوا مقاعدهم بالملاعب الرياضية من التاسعة صباح الجمعة لمشاهدة مباراة فى كرة القدم وقد ضيعوا صلاة الجمعة وكذا صلاة العصر وعند العودة لمنازلهم فلا صلاة لمغرب ولا لعشاء وما يزيد الطين بلة[٣] أن بعض الشباب المسلم والشابات المسلمات لا يدرون حكم التطهر من الحدث الأكبر فحسب بل لا يدرون نواقض الوضوء .

وإن يعطى الرجل . . فإن القناعة عند البعض لم تعد كنزًا ، فقد فنيت وإن الرجل ليسخط مما فى يديه وإن كثر فلا يملأ عين ابن آدم إلا التراب .

وروى عن أبى هريرة قوله قال رسول الله ﷺ : « ويل[٤] للعرب من شر قد اقترب ، قطعًا كالليل المظلم يُصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا يبيع قوم دينهم

(١) قَعَصَهُ -قعصا : طعنه بالرمح ، وقيل القعاص : رامى الرمح والنبال .
(٢) كلمة انجليزية الأصل تعريبها (ليونة) .
(٣) إن صح هذا التعبير .
(٤) الويل : وادٍ فى جهنم يستجير بالله من شدة ناره على ذاته .

بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر » ، أو قال : « على الشَّوك » وقيل « خَبْطُ شوك » .

وهكذا فإن رسول الله ﷺ قد استعار لفظة ويل من موضعها الأصلى ليبين فى بلاغة مدى الخطر الداهم الذى يحدق بالعرب إذا وقعت فيهم الفتن التى شبهها الرسول ﷺ بأنها كقطع الليل المظلم بحيث يصبح الرجل مؤمنًا فيتعرض للافتتان بعرض الدنيا حتى يمسى كافرًا ، وذلك لأنه قد شغله نصيبه من الدنيا ونسى ما كان له أن يبتغى فى الدار الآخرة .

كذلك فإن شهود الزور وقعوا على أعيننا ولقد صدرت أحكام قضائية أدانت بريئًا وأخرى برأت متهمًا.

وقد طلقت زوجات من أزواجهن ورُدَّت زوجات لعصمة أزواجهن وقد استنفدوا الثلاث تطليقات الشرعية وكل ذلك بفضل شهادة الزور ، فلقد باع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ، ونجد المتمسك بدينه كالقابض على الجمر فإن الأمور تسير إلى نحو يجعل مما تقدم ما يشبه العرض العام .

وقال أحمد حدثنا أبو جعفر المداينى حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدى عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبيل بن عوف عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان : « كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيهم إلى قصيعة الطعام يصيبون منه قال ثوبان بأبى وأمى يا رسول الله أمن قلة بنا قال بل أنتم يومئذ كثير ولكن يلقى فى قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهيتكم القتال » .

ومن لا يقرأ التاريخ وكان على علم بأبجدياته فقد حصل عنده العلم والمعرفة بموجات المغول والتتار التى استهدفت العالم الإسلامى بالشرق والمنطقة العربية على

الخصوص حتى تمكن سيف الدين قطز[١] من هزيمة التتار وإبعاد خطرهم إلى الأبد وذلك فى عام ١٢٦٠ م سنة ألف ومائتين وستين من الميلاد ، سنة ستمائة وواحد وثمانين من الهجرة تقريبًا .

ثم جاء الاستعمار التركى للعالم العربى ثم ما كان حديثًا من تقسيم العالم العربى إلى مناطق نفوذ للاستعمار البريطانى ، والفرنسى ، والإيطالى ، والأسبانى .

وفى الوقت المعاصر وجدنا أمريكا وبريطانيا تتزعمان تدمير العراق وتهديد إيران وترويع السودان وحصار ليبيا تحت ما يسمى بالتحالف الدولى .

والآن ذلك الذى يسمى بالتحالف الدولى المزعوم للقضاء على الإرهاب بقيادة أمريكا وبدعم كامل من بريطانيا ودول الاتحاد الأوروبى وروسيا واستراليا وبعض بلدان العالم الإسلامى (العلمانية النظام) .

وهكذا حصلت أمريكا على تفويض يُخول لها الانتقام من الدول المساندة للإرهاب وعلى حد زعمهم هى بعض الدول الإسلامية ، وأعلنها صراحة الرئيس الأمريكى أمام العالم عبر شاشات التليفزيون وميكروفونات الإذاعة أن أمريكا ستعلنها حربا صليبية جديدة ضد الإرهاب[٢] والدول التى ترعاه .

ثم العربدة الدائمة للمستعمر الإسرائيلى فى فلسطين المحتلة وسعيهم فى الأرض بالفساد وتهديدهم باستخدام أسلحة الدمار الشامل والوصول بطائراتهم إلى العراق لضرب مفاعلها النووى المستخدم فى الأغراض السلمية مرورًا بالأجواء

---

(١) السلطان المصرى آنذاك .

(٢) فى تصنيف الكفرة أن أفغانستان - باكستان - السودان - ليبيا - العراق - إيران - الجزائر - وكلها بلاد إسلامية قالوا أنها دول ترعى الإرهاب .

الأردنية والسورية ، والاعـتداء المتواصل بالطائرات المقاتلة الأمريكيـة الحديثة على لبنان وتدميـر منشآته المدنيـة وبنيته التـحتيـة ، واحتلال إسـرائيل لهضبـة الجولان السورية منذ أربع وثلاثين سنة إلى الآن وترديع الأردن وكذلك التجسس على مصر والتهديد بضرب منشآتها الحيوية .

وتصـفيـة القيـادات الفلسطينية جـسديًا سـواء فى تونس أو الأردن أو داخل الأراضى الفلسطينية ثم استـخدام الأسلحة المحرمة دوليًا ضـد أبناء الشعب العربى الفلسطينى فى حرب غير متكافئة بين الحجر والدبابة ، والقنبلة والطائرة .

برغم كل ذلك فقد ملَّت أذُناى جملة ترددها وسائل الإعلام العربى (المقروءة والمسموعة ، والمرئية) بأن السلام خيار استراتيجى .

﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُم ﴾ .

[محمد : ٣٥] .

وروى عن ابن مسعـود قوله : سمعت رسول اللـه ﷺ يقول : « تكون فتنة النائم فيهـا خير من المضطجع ، والمضطجع فيها خـير من القاعد ، والقاعـد فيها خيـر من القـائم ، والقائم فـيهـا خيـر من الماشى ، والماشي خيـر من الراكب ، والراكب خير من المجرى ، قتلاها كلها فى النار » .

ومن طريق آخر عن أبى هريـرة عن النبى ﷺ أنه قال : « يتفـاوت الزمان ، وينقص العلم ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثـر الهرج » قالوا يا رسول الله أيما هو ؟ قال : « القتل ، القتل » .

ووقع من طريـق آخـر عن أبى هريرة قـوله : أن رسـول اللـه ﷺ قـال : «وستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرف لها تستشرفـه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذ فليعذ

به » .

اعلم أن المراد بالفـتنة ما ينشأ عـن الاختلاف فى طلب الملك حـيث لا يُعلم المحق من المبطل .

قال الطبرى : اخـتلف السلف فحمل بعضهـم ذلك على العموم ، وهم من قعد عن الدخول فى القـتال بين المسلمين مطلقًا كسعد ، وابن عمـر ، ومحمد بن سلمة وآخرين تمسكوا بالظواهر المذكورة وغيـرها ، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت .

وقالت طائفة بل بالتـحويل عن بلد الفتن أصلاً ثم اختلفـوا فمنهم من قال : إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل .

ومنهم من قال : بل يدافع عن نـفسه وعن ماله وعن أهله ،وهو مـعذور إن قَتَلَ أو قُتِلَ .

وقـال آخرون : إذا بغت طائـفة على الإمـام فـامتنعت من الـواجب عليهـا ونصبت الحرب وجب قـتالها ، وكذلك لو تحاربت طائفـتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطىء ونصر المصيب وهذا قول الجمهور .

وفصل آخرون فـقالوا :كل قتال وقع بين طائفتين مـن المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع .

وقال الطبـرانى : والصواب أن يقال إن الفتنة أصلهـا الابتلاء ، وإنكار المنكر واجب على كل من قـدر عليه ، فـمن أعان المحق أصاب ، ومن أعـان المخطىء أخطأ وإن كانت مـشاكلة أو لبث فى الأمر فـهى الحالة التى ورد النهى عن القـتال فيـها وذهب آخـرون إلى أن الأحاديث نزلت فى نـاس مخصـوصين ، وأن النهى مخصوص بمن خوطب بذلك على سبيل التعيين .

وقيل أن أحـاديث النهى مخصـوصة بآخر الزمان حـيث يحصل التحـقيق أن المُقاتلة إنما هى فى طلب الملك وهذا أولى مقارنةً بما نحن عليه الآن .

ووقع فى حديث ابن مسعود قوله : قلت يا رسول الله ، ومتى ذلك ؟ قال: « أيام الهرج » ، قلت ومتى . قال : « حين لا يأمن الرجل جليسه » .

والذى أراه أن الفتنة هى لبس الحق بالباطل والباطل بالحق كأداة زيف وتضليل للصراع فى طلب الملك .

وروى عن ثوبان قوله عن الرسـول ﷺ أنه قال : « إن الله زوى لى الأرض مشـارقهـا ومغـاربها ، وأن ملك أمـتى سيـبلغ ما زُوِىَ لى منهـا ، وإنى أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى أن لا يهلكوا بسنة عامة ، ولا يسلط عليهم عـدوا سوى أنفسهم يسـتبيح بعضـهم بعضًا ، ولو اجتـمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يسبـى بعضًا ،وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، وإذا وضع فى أمتى السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يدخل قبائل من أمتى بالمشركين ،وحتـى يعبد قبائل من أمتى الأوثان ، وإنه يكون فى أمتى كـذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبـيين ولا نبى بعدى ، ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفـهم حتى يأمر الله عز وجل .

نقول أنه قد وقع ما قاله الرسول ﷺ فالفتوحات الإسلامية طالت بلاد السند والهند شـرقًا وإلى المحيط الأطلسى غـربًا وزادت حتى ضـمت أسبانيـا وبلاد من فرنسا حـتى كانت موقعـة بلاط الشهداء فى جنوب فرنسـا فكانت هذه نذير شؤم على الفتح الإسـلامى لأوروبا بل زاد الأمر لرحـيل الحكم الإسلامى عن أسبـانيا وعاد فى عصـر الفاطميين ليحكم المغرب الـعربى ثم اشتغل الفاطمـيون بعد ذلك

بدخول مصر .

ومسألة النبى ﷺ لله عز وجل كما وردت فى الحديث قد تحققت فإن أمّة الإسلام لم تهلك بسنة عامة ولم يهدد كيانها شيء من ذلك ، كما أن مؤامرات الأعداء بنا لم تلحق بنا أذى كثيرًا إنما الخوف كل الخوف من الصراع العربى العربى والتاريخ ملىء بالشواهد ، فمن قتل الملك فيصل ؟ هو ابن أخيه ، ومن التهم الكويت ؟ العراق ، ومن ذبح الفسلطينين ؟ الأردن ، ومن قاتل اليمن ؟ اليمن ، ومن ساند البوليساريو ضد المغرب ؟ الجزائر ومن اقتحم السودان ؟ ليبيا .

ونرى على أوقات متفرقة بين حين وحين من العلماء غير العاملين الذين أصدروا فتاوى تجرم ختان الإناث ، وتحلل الربا وتبيح الاختلاط وسمعنا بمن ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ كالأسود العنسى ، ومسليمة ، وغيرهما وارتد بعض المسلمين عن دينهم بعد وفاة الرسول ﷺ وظهر ببلد الأزهر مصر عبدة الشيطان ، مرتين فى أقل من خمسة أعوام ، وقُيِّدت ضدهم قضايا ينظرها القضاء المصرى حتى الآن . بينما يوجد الكثيرون الظاهرون على الحق المعتصمون بحبل الله العاملون بسّنة نبيه ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأمر الله عز وجل .

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم وبزمان - أو قال - يوشك أن يأتى زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة[1] من الناس ، قد مرجت عهودهم ، واختلفوا فكانوا هكذا وشبَّك بين أصابعه ، قالوا كيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تأخذون بما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم » .

الثابت أن رسول الله ﷺ بيَّن أن زمانًا يأتى على الناس وقد عجل الله

(١) الحثالة : الردئ من كل شئ - النفاية من الحب والتمر - ومن الناس رزائلهم وشرارهم .

بخيـارهم وأبقى منهم الشرار والأرازل وهؤلاء لا عهـد لهم ولا خير فيـهم ، قد ضلوا وأضلوا وتداخلت الأمور فى أيامهم كتداخل أصابع الأيدى إذا هى تشابكت وجاءت معهم البدع والمضلات فإن كان ذلك فعلى الهداة المهديين الأخذ بما يعرفون من القواعد العـامة للسلوك الإنسانى التى حددها القرآن الكـريم وبينتها سنة النبى ﷺ وعليهم أيضًا أن يَدعوا ما ينكره الدين والأخـلاق ويتعين بالأصالة البحث عن الخاصة وهم قليل واتباع أمرهم وترك أمر العامة من الناس لانتشار الفساد والضلالة بينهم .

كذلك روى عن أبى هريرة أنه قـال : قال رسول الله ﷺ « أنه سـتكون فتنة صماء ، بكماء ، عـمياء ، من أشرف لها استشـرقت له ، وإشراف اللسان كدفع السيف» .

وروى عن عبد الله بن عمرو قوله : أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون فتنةٌ تستنطف العرب قتلاها فى النار اللسان فيها أشد من وقع السيف » .

عن حذيفـة بن أسيـد قوله : (اطلع علينا النبى ﷺ ونحن نتـذاكر السـاعة فقال: « إنها لن تقوم حـتى تروا عشر آيات : الدخان ، الدجال ، الدابة ، طلوع الشـمس من مغـربها ، ونزول عـيـسى ابن مريم ، ويأجـوج ومأجـوج ، وثلاثة خسوف خـسف بالمشرق ، خسف بالمغرب ، خسف بجـزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم ») .

وسنتعرض لهذا الحديث تفصيلاً فى حينه إن شاء الله تعالى .

* * *

وروى عن أنس بن مـالك قوله : قـال رسول الله ﷺ : « إن أيام الدجـال سنين خداعة ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فـيها الصادق ، ويُخَوَّن فيها الأمين

ويُؤتَمن فيها الخائن ، ويتكلم فيها الروبيضة » قيل وما الرويبضة[1] ؟ قال : «الفويسق يتكلم فى أمر العامة » أى الساعة .

❊ ❊ ❊

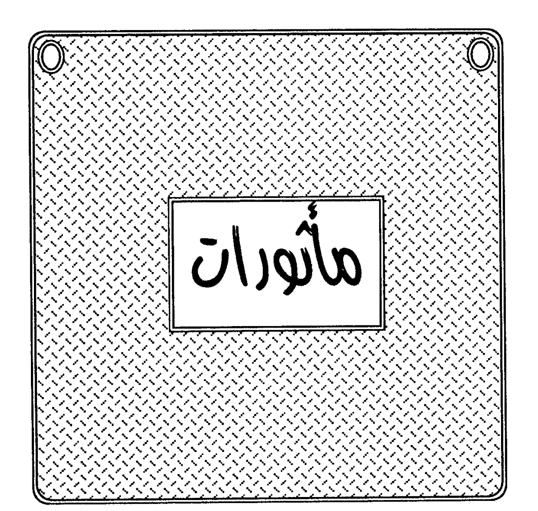
وعن أبى هريرة أيضًا أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تروا أمورًا عظامًا لم تحدثوا بها أنفسكم » .

وقال أنس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض لا إله إلا الله » .

وهو عند مسلم : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله » .

❊ ❊ ❊

(١) الرابض - يقال : كلب جائل خير من أسد رابض - « الرَّبض) مأوى الغنم وغيرها من الدواب وكل ما تستريح لديه من أم وزوج وبنت وقرابة وغيره . . . ما حول المدينة (ج) أرباض المربض مكان ربوض الغنم .


مأثورات

مأثورات

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها » .

وحديث ابن مسعود : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » .

وروى الطبرانى عن ابن مسعود : « لا تقوم الساعة على مؤمن » .

وللطيالسى عن أبى هريرة : « لا تقوم الساعة حتى يرجع ناس من أمتى إلى الأوثان ويعبدونها من دون الله » .

ولمسلم وأحمد من حديث ثوبان : « لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان » .

ولمسلم عن عائشة : « لا تذهب الأيام والليالى حتى تعبد اللات والعزى من دون الله » وفيه « ثم يبعث الله ريحًا طيبة فيتوفى بها كل مؤمن فى قلبه مثقال حبة من إيمان . فيبقى من لا خير فيه . فيرجعون إلى دين آبائهم » .

وقد وقع فى حديث سلمة بن نفيل عن أحمد : « وبين يدى الساعة سنوات الزلازل » وله عن أبى سعيد « تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة » .

وكذلك قوله ﷺ : « ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج » .

قوله : وحتى يتطاول الناس فى البنيان .

قوله : وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى كنت مكانه .

قوله : وفتنة يدخل حربها بيت كل مسلم .

قوله : وحتى تلد الأمة ربتها .

قوله : ولتقاتلن الترك .

قوله ﷺ : « يصدق فيها الكاذب . . إلخ » .

فلما كان أحدنا لا يستطيع فصل نفسه عن زمانه وأبناء جيله . فحتما نحن نعايش قضايا الأجيال وعجائب الزمان ، والذى أصبح شبيهًا بالعرض العام فى أيامنا هذه أن ما قاله الرسول ﷺ هو بين أيدينا واقع عملى فى السلوك الإنسانى فإننى عرفت أمينًا خونه الناس ، ورأيت خائنًا ائتمنه الناس ، ووجدت كذلك من له ومن ليس له من الأمر فى شئ يتحدث فى أمر الساعة .

❊ ❊ ❊

قوله ﷺ : « حتى تروا أمورًا عظامًا . . إلخ » .

فلقد رأينا وسمعنا وعاصرنا وقرأنا عن أشد الأمور غرابة سواء أكان ذلك فى الوقت الحاضر أو فى العهود الغابرة . فما أشد غرابة من إحداث تغيير فى خلق الله ، فهذا طالب الطب بجامعة الأزهر الذى تحول بمحض إرادته إلى راقصة فمن سيد الرجل إلى سالى الراقصة .

ولقد سألت رئيس أقسام النساء والتوليد بجامعة عين شمس عن مدى استواء الأنوثة لدى سالى وهل من الممكن أن تصبح سيدة بالمعنى البيولوجى فى الحمل والولادة والرضاعة ، فنفى إمكانية ذلك على الإطلاق ، إلا أن ذلك يعتبر شكلاً من أشكال الشذوذ أو النشوذ .

وسألت زوج سالى الذى كان يعمل معى فى إحدى شركات القطاع العام الحكومى سألتُه عن أدق العلاقات القائمة بينه وبين زوجه فأجاب بأن الأمر لا يعدو أن يكون لواطًا وتابعنا جميعًا ما يحدث فى بلاد الغرب من تجارب يدَّعون بأنها ستمكن الرجل من الحمل والولادة والرضاعة ، واقرأ إن شئت من سورة النساء

الآيات من ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

قوله ﷺ : « حتى لا يقال فى الأرض لا إله إلا الله . . » .

وعند مسلم فإن اسم الله تعالى تنطقُ به الألسن وتعمرُ به القلوبُ حتىً موت عيسى عليه السلام[1] إذ يرسل الله ريحًا طيبة فيتـوفى بها كل مؤمن ومؤمنة ويبقى حثالة الناس فعليهم تقوم الساعة .

❊ ❊ ❊

قوله ﷺ : « حتى تأحذ أمتى بأخذ القرون قبلها . . . » .

وقوله ﷺ : « حتى يرجع ناس من أمتى إلى الأوثان . . » .

وقول عـائشة عن رسـول الله ﷺ : « وحـتى تعبـد اللات والعزى من دون الله . . . » إلخ .

ولقد ظهر بمصر عبدة للشيطان والأوثان ولقد سبق التعرض لذلك ناهيك عن المتشابهات فى معظم بلدان العالم الإسلامى الوارد إليهم من الغرب المتمدين .

❊ ❊ ❊

قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » .

وقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة على مؤمن » .

وذلك بعد أن يرسل الله الريح الطيبة التى تأخـذ المؤمنين تحت آباطهم فيتوفى كل مؤمن ومؤمنة فيـبقى عجاجة الناس يتسـافدون كما يتسافد البـهائم ويعقم الله النساء ويكتفى الرجل بالرجل وتكتفى الأنثى بالأنثى .

وعلى هؤلاء تقوم الساعة وبيان ذلك فى حينه إن شاء الله تعالى .

---

(١) سيأتى بيان ذلك فى حينه .

قـوله ﷺ : « وبين يدى السـاعـة سنوات الزلازل ، تكثـر الصـواعق عند اقتراب الساعة » .

وقع فى كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى حال الكلام فى الزلازل ما هو آت وأذكره نقلاً :

قوله ﷺ : « وتكثر الزلازل » قـد وقعَ فى كثير من البلاد الشمالـية والغربية كثير من الزلازل ، ولكن الذى يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها ، وقد وقع فى حديث سلمـة بن نفيل عن أحمد : « وبين يدى السـاعة سنوات الزلازل » ، وله عن أبى سعيد : « تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة » .

انتهى قول الكاتب .

وأقول : ورد الكلام فى الزلازل فـيما قبل سنة ثمانمائة واثنـتين وخمسين من الهجرة (٨٥٢هـ) ، أى : قـبل ستمائة وسبـعين عامًا من الآن إذ نحن الآن سنة ألف وأربعمائة واثنتين وعـشرين من الهجرة . وأفـادت الأحاديث المتواترة أنه وقع فى البلاد الشرقية والغربية والشمالية ، أى أنه كان شاملاً وعاماً .

وفى الوقت المعاصر عشنا جـميعًا زلزال أزمير بتركيا الذى راح ضحـيته أكثر من مائة وثمـانين ألف (١٨٠٠٠٠) قتـيل ودمر مئـات الآلاف من المنازل وشرد عشرات الآلاف من الأتراك .

ثم زلزال دهشور الرئيسى ومركزه قريتى سقارة وأبو صير بالجيزة ، ذلك الذى هز مصر كـاملة وما تبعه من هزات تابعـة له أو زلازل منفصلة أو تلك التى تصلنا بينما مركـزها فى دول مجاورة كزلزال العـقبة ، وقبرص وإسـرائيل وغير ذلك ، ولكن الله سلم ، فتشـريف مصر بذكرها صراحة فى القرآن لهـو سبب رئيسى فى حفـظها من الشـرور والمهالك ومـا نتج عن زلزال مصـر فى ١٢ / ١٠ / ١٩٩٢

الثانى عـشر من أكـتوبر عـام ألف وتسعمـائة واثنين وتسعين من الميـلاد سنة ألف وأربعمائة وثلاث عشرة من الهجرة .

نتائجه فى الدمار لا تذكـر فقد انهارت بيوت لا تتعـدى أصابع اليدين ومثل ذلك الوفيات التى نتجت عن هذا الزلزال .

❊ ❊ ❊

وكان زلزال الهند الرئيـسى فى الشهر الأول من العـام الأول من القرن الأول فى الألفية الثالثة . الذى راح ضـحيةً له ما يفوق عدد ضحايا زلزال أزمـير بتركيا واختفت من على ظهـر الأرض قرى بأكملها شرقى الـهند من شدة الزلزال وقوته التدميرية الهائلة .

فضـلاً عن ما نسمع به ونراه عـبر وسائل الإعـلام المرئية أو نقـرأ عنه ضمن وسائل الإعـلام المقروءة . من حدوث زلازل تقع شـمال العالم وجنوبه ، شـرقه ووسطه وغربه .

❊ ❊ ❊

كذلك وقد كثـر حدوث الصواعق ، فوصلتنا أخبار مـفادها أن ناسًا قد ماتوا بالصاعقة فى الهند والصين وإسرائيل وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا وهولندا .

وإن عرفت الصاعـقة بأنها كتلة من الكهرباء العـالية الفولت[1] تنزل للأرض بأعلى من سرعة الضوء ، فتبيد من وقعت عليهم ، فإنه قريب .

وإن قـيل أنهـا عـذاب الله للناس بمثل مـا يأخـذهم بالسنين ، فـلا حـرج ولأصحاب العلوم الدنيوية آراءً أخر لسنا بصددها .

---

(١) وحدة قياس للكهرباء .

قوله ﷺ : « وحـتى يتطاول الناس فى البنيان : ويحـتمل أن يكون المراد به المباهاة فى الزينـة والزخرفة ، أو أعم من ذلك كـأن ترتفع البنايات ويتنافس الناس فى ذلك ، وقد وجد من ذلك كثيـر وهو فى ازدياد حتى وقتنا الحاضر ومن طريق آخر : « تجد الحفاة العراة الجُوَّع يتطاولون فى البنيان » .

قوله ﷺ : « يتقارب الزمان ،وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج . . » .

سبق القـول فى الفتن وكثرة الهـرج وفى تقارب الزمان أقـول : إن الأحداث التى تتطور بسرعة هائلة وإن الأمـور التى يستحدثها بنو البشر لتـدلُّ دلالة مباشرة على سرعة الزمان وتقاربه .

فإن رجلا يحيا مائة عـام منذ عام ١٩٠٠ - ألف وتسعمائة من الميلاد - إلى عام ٢٠٠٠ - ألفين من الميـلاد - قد رأى الفقـر والغنى - الظلام والنور - الواقع والخيال - الخيل والطائرة - واستمتع بكثـير من نعم الله وحُرم من كثير سابقًا فإنه المائة عام التى هى عـمر إنسان واحد تطورت فـيها البشرية تطـورًا هائلا وزاد معه الإحساس بتـواتر الزمان وتقاربه حتى أن الإنسان أصبح فى سـباق مع الزمن وكأن العمر لا يكفيه لتحقيق أمانيه .

فصار العام كالشهر ، والشهر كالأسبوع ، والأسبوع كاليوم . وهكذا .

❊ ❊ ❊

قوله ﷺ : « حتى تروا ثلاثة كسوف . . إلخ » .

لا زال سكان النصف الشـمالى مـن الكرة الأرضيـة يذكرون ذلك الكسـوف الشمسى الذى حدث بـصيف سنة ألف وأربعمائة وتسعة عشـر من الهجرة الموافق سنة ألف وتسعمائة واثنين وتسعين .

إذ رآه سكان الشـمال من النصف الشـمـالى للأرض كسـوفًا كليًا ورأيناه فى

مصر والشـرق الأوسط كسوفًا جزئيًا . وحدث بعد ذلك بـشهور قليلة فى النصف الجنوبى من الكرة ، ما يتطابق وذلك الذى حدث فى النصف الشمالى .

وما زلنا فى مـصر نذكر تلك الريح العـاتية التى اجتـاحت مصر بعـد صلاة الجمعـة وقبيل صلاة العـصر فى يوم الثانى من مايو سـنة ألف وتسعمائة وسـبعة وتسعين ٢ / ٥ / ١٩٩٧ .

إذ هبت ريح صفراء من جـهة الغرب وتقدمت إلى الشـرق بسرعة تزيد على المائة وخمسين كيلو متر / ساعة . ولم تلبث الدنيا أن اسمرت واختفت الشمس ، وعم ما يشبه الليل وجه الأرض حتى أن الرجل كان إذا أخرج يده لم يكد يراها .

وكانت هذه أول مرة أرى بعينى رأسى عاصفة كتلك التى نحن بصددها ونتج عنها بعض الاخـتناقات والوفيات واقـتلاع أبراج الكهرباء والأشجـار كذلك كانت بعض الحـرائق ومن فـضل الله عـلينا أن هذه الريح لم تطل بـنا لأن الله حـفظنا ولطف بنا من شر محقق .

ناهيك عن إعصار النينو[1] المدمر الذى يمر بسواحل استراليا ، ثم غرب أمريكا ويتقدم إلى شرقها مخلفًا وراءه الكثير من الدمار فى المناطق التى يمر عليها .

* * *

قوله ﷺ : « حتى يمر الرجل بقبر . . إلخ » .

« وحتى تلد الأمة ربتها » .

فالملاحظ أن هذين الأمرين يقعان أو يحدثـان تحت تأثير ظروف معينة تتفاوت من وقت لآخر ومن بيئة لأخرى ويرتبط حدوثهما بالوعى الدينى وهو قوله ﷺ :

---

(١) ظاهرة طبيـعية تحـدث كل عام فى الشـتاء تلحق أضرارًا بالغـة فى الولايات الأمريكيـة والشرق الاسترالى .

« ولتقاتلن الترك » .

قديمًا عندما انهارت سلطنة (قُونية) بوفاة سلطانهـا علاء الدين كيقابد الثالث سنة ١٣٠٧ من الميلاد أخذ عثمـان (١٢٩٩ - ١٣٢٦م) ابن أرطفرل أحد زعماء القبائل التركيـة الكثيرة التى استقلت فى آسيا الصغـرى ، عند خراسان وقد سمت الدولة العثمانية باسمه .

وقد أخذ عثمـان وأتباعه فى التوسع فى سرعة تسترعى الانـتباه على حساب تلك الدولة المنهارة .

وخلف عثـمان ابنه الأكبـر : (أورخان ٣٣ سنة (١٣٢٦ - ١٣٥٩) الذى استطاع دخول (نِيقية) إسنك الحالية سنة ١٣٢٩م .

ثم قام سليـمان الابن الأكبـر للسلطان أورخان بالاستـيلاء على شبـه جزيرة چاليبـولى سنة ١٣٥٤ م وهى أول أرض يستـولى عليهـا العثـمانيـون ومات سنة ١٣٥٨ م . أى قبل وفاة والده بعام واحد الذى توفى عام ١٣٥٩م .

وآل العرش العـثمـانى للسلطان مراد الأول ، الذى اسـتولى على سـالونيكا وأدرنة سنة ١٣٦١ م ووصل إلى الشمال الآسيـوى ، وجرَّه ذلك إلى الاشتباك فى حروب ضد بلغاريا والبوسنة والصرب ، ونجح العثمانيون فى إخضاعهم ثم دارت معركة بين الصرب والـعثمانيين ، خَرَّ فيها ملك الصرب قتـيلاً ، ثم قتل مراد هو الآخر على يد أحد نبلاء الصرب .

وآل العـرش العثمـانى إلى السلطان سليم الأول ، الذى كـانت لديه الرغـبة الملحة فى السـيادة على العـالم الإسلامى ، تمثلت هذه الرغـبة فى التحـرش ضد الفرس (الشيعة) فى عصر الشاه إسماعيل الصفوى (عصر الصفويين) .

وكـونه أحـاك المؤامرات ضـد أرض الحـجـاز لغـرض سيـطرته على مكة ،

ومحاولات دخوله مصر وقد تحقق له ذلك .

إذ بدأت المناوشات بين العثمانيين الأتراك والدولة المماليكية بقيادة السلطان المصرى (قايتباى) آنذاك الذى هم للدفاع عن مصر فأرسل ثلاث حملات .

الأولى : بقيادة القائد أزبك وكانت هذه سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م وأُسر فى هذه الحملة عددًا كبيرًا من العثمانيين .

الثانية : بقيادة أزبك أيضًا وعاد معه عدد كبير من العثمانيين الذين دخلوا فى خدمة السلطان قايتباى .

الثالثة : وقد كانت إلى أن تم الصلح بين العثمانيين والمماليك سنة ١٤٩٢م . ٨٩٧ هـ .

وفى عصر السلطان قنصوه الغورى وقعت بحلب أحداث من قبل العثمانيين مؤداها التمهيد لدخولهم مصر ، وتقدمت الجيوش العثمانية نحو مصر وكان قنصوه الغورى على استعداد تام لملاقاتهم وبدأت المعركة بهجوم خاطف عنيف للمصريين زلزل أقدام العثمانيين وأنزل بهم خسائر فادحة فى فجر ٢٤/٨/ ١٥١٦/ ٩٢٢ هـ .

ولعب أحد أعوان سليم الأول (خاير بك) دورًا هامًا فى الخديعة والمكر بأن أشاع أن السلطان الغورى قد قتل - فانهارت قوة المماليك - مع أن الغورى كان على قيد الحياة وثابتًا فى مكانه جاهزًا للحرب ولما أيقن الهزيمة حاول الهرب إلى حلب ولكنه سقط عن فرسه بعد خطوات جثة هامدة من هول الهزيمة .

بينما لجأت فلول المماليك إلى حلب الذين آذوهم لسابقة غدر المماليك بهم وعادوا إلى القاهرة أفواجًا منقطعة وتعرَّضوا خلال الطريق لأذى العربان ودخلوا القاهرة فى رمضان سنة ٩٢٢هـ / ١٠/ ١٥١٦ م .

وتولى شئون مـصر بعد وفاة الغورى السلطان (طومـان باى) وكان الغورى قد أوصى له كتابة بذلك قبل ذهابه لملاقاة جيش العثمانيين بقيادة سليم .

وفى صبيحة ٢٣ / يناير / ١٥١٧ شوهدت العساكر العثمانية فى طريقها إلى القاهرة ، فلاقاهم طومان باى ، والتحم الفريقان فى معركة حامية قادها طومان، وسليم واستطاع طومان أن يذبح سِنان باشًا[١] بيده وظن أنه قتل سليـما ، وكانت الخسـائر من الجانبين فـادحة واشتـد وطيس المعركـة ، وانتصر العـثمـانيون وهزم المماليك وفر طومـان هاربًا إلى أن تم إلقاء القبض عليه بعـد ذلك ثم إعدامه وظل معلقًا على باب زويلة بالقلعة ثلاثة أيام .

وفى الثـالث من المحـرم سنة ٩٢٣هـ / ٢٥ يناير ١٥١٧ أمـر سليـم بنقل معسكره من الريدانيـة إلى بولاق وأحضرت له مفاتيـح القلعة ، واتخذ من بولاق مركزًا لقيادته وأعماله الحربية .

وهكذا انتهت الإمـبراطورية المملوكـية وفقـدت مصر اسـتقـلالها وسيـادتها وأصبحت ولاية عثمانية .

❊ ❊ ❊

حديثًا :

ويجرى نهر الفـرات بالأراضى الغربية للعراق ، قـادمًا من الأراضى السورية منهالاً من تركيـا بأوروبا الشرقية ويعتـبر مصب لنهر (مـورات) حيث منابعه فى الشمال الغـربى الإيرانى وكذلك نهر (أرزروم) بالقرب من تيلـيسى على الحدود الجنوبية لجمهورية الشيشان .

وشرع الأتراك فى بناء سدود على نهر الفرات ، الأمر الذى يضر مباشرة كلا

(١) أحد قادة وأكبر معاونى سليم .

من سوريا والعـراق ، حتى لاحت فى الأفق بوادر حـرب تركية ، سـورية بسبب أزمة المياه ولعبت (الموساد)[1] دورًا كبيـرًا فى إزكاء نار الفتنة وإشعـالها ، لما بين الأتراك والإسرائيلين من معاهدات صاداقة واتـفاقيات عسكرية ، وأيضًا يوجد فى تركيا قاعدة عسكرية ضخـمة لحلف شمال الأطلنطى الذى يجمع دولا يعرف عنها عدائها الكـبير للعرب والمسلمين وشـجعت الأتراك على حشد قواتـها على الحدود التركية مع سوريا وفطنت القيادة المصـرية السياسية لهذا المخطط الدنئ وتمكن آنذاك الرئيس المصرى محـمد حسنى مبـارك من إخماد نار الفتنة ونزع فـتيل الحرب هذه وتشيـر الشواهد إلى حـتمـية نشـوب حرب بين كل من العـراق وسوريا والأردن وفلسطين من جهة ضد تركيا وإسرائيـل من جهة أخرى بسبب أزمة المياه ، ويمكن القول بأن الحروب القادمة ستسمى حروب المياه .

ولقد بين الرسول ﷺ أن حـربًا مع الترك ستقع بقوله : « ولتـقاتلن الترك » فقديمًا كانت معركتى « مرج دابق - الريدانيـة) ، وحديثا : احتمال نشوب حرب ستعرف باسم حرب المياه - واقع لا محالة .

الدخان

قال تعـالى : ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [الدخان : ١٠ - ١١] .

ذكر الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب[2] ماهو آت قال : اعلم

(١) جهاز المخابرات الإسرائيلى .
(٢) المجلد ١٤ ص ١٤٣ ضمن كتاب فتح البارى للبخارى .

أن المراد بقوله ﴿ فَارْتَقِب ﴾ انتظر . ويقال ذلك فى المكروه .

والمعنى : انتظر يا محمد عذابهم ، فحذف مفعول الارتقاب لدلالة ما ذكر بعده عليه وهو قوله ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

ويجوز أيضًا أن يكون ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء ﴾ مفعول الارتقاب .

وقوله تعالى : ﴿ بِدُخَانٍ ﴾ فيه قولان :

القول الأول : أن النبى ﷺ دعا على قومه بمكة لما كذبوه فقال : « اللهم اجعل سنيهم كسنى يوسف » فارتفع المطر وأجدبت الأرض وأصابت قريشًا شدة المجاعة ، حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف ، فكان الرجل لما به من جوع يرى بينه وبين السماء دخان ، وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فى بعض الروايات ، وهو أيضًا قول مجاهد ومقاتل ، واختيار الفراء والزجاج وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وكان ينكر أن يكون الدخان إلا هذا الذى أصابهم من شدة الجوع كالظلمة فى أبصارهم حتى كانوا كأنهم يرون دخانًا - فالحاصل أن هذا الدخان هو الظلمة التى فى أبصارهم من شدة الجوع .

وذكر ابن قتيبة فى تفسير الدخان بهذه الحالة وجهين :

الأول : أن فى سنة القحط يعظم يبس الأرض بسبب انقطاع المطر ويرتفع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان .

الثانى : أن العرب يسمون الشر الغالب بالدخان ، فيقول كأن بيننا أمر ارتفع له كالدخان ، والسبب فيه أن الإنسان إذا اشتد خوفه أو ضعفه ، أظلمت عيناه ، فيرى الدنيا كالمملوءة من الدخان .

القول الثانى : يرى القائلون به أنه دخان يظهر فى العالم وهو إحدى علامات القيامة .

قالوا : فإذا حصلت هذه الحالة ، حصل لأهل الإيمان منه حالة تشبه الزكام، وحصل لأهل الكفر حالة يصير لأجلها رأسه كرأس الحنيذ[١] .

وهذا القـول هو المنـقـول عن على بن أبى طالب رضى الـله عنه وهو قـول مشهور لابن عباس واحتج القائلون بهذا القول بوجوه :

الأول : أن قوله : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ ﴾ يقضى وجود دخان تأتى به السماء ، وما ذكرتموه من الظلمة الحـاصلة فى العين بسبب شدة الجوع فذلك ليس بدخان أتت به السماء فكان حـمل لفظ الآية عدولا عن الظاهر لا دليل منفصل ، وأنه لا يجوز .

الثانى : أنه وصف ذلك الدخان بكونه مـبينًا ، والحالة التى ذكـرتموها ليست كذلك لأنهـا عارضة تـعرض لبعض الناس فى أدمـغتهـم ، ومثل هذا لا يوصف بكونه دخانًا .

الثالث : أنه وصف ذلك الدخـان بأنه يغـشى الناس ، وهذا إنما يصـدق إذا وصل ذلك الدخـان إليهم واتصل بهم والحـال التى ذكرتموها لا تغـشى الناس إلا على سبيل المجـاز وقد ذكرنا أن العدول عن الحقيقـة إلى المجاز لا يجوز إلا بدليل منفـصل .

الرابع : روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أول الآيات الدخـان ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ونار تخرج من قعر عدن لتسوق الناس إلى المحشر » .

قال حذيفة : يا رسول الله : وما الدخان ؟

فتـلا الرسول ﷺ الآية ، وقـال : دخان مـا بين المشرق والمغـرب يمكث فى الأرض أربعين يومًا وليلة ، أمـا المؤمن فيصـيبـه كهيـئة الزكام وأمـا الكافر فـهو

(١) المراد : رأس العجل المطهى على النار بواسطة (الشَيّ) .

كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره ، رواه صاحب الكشاف .

انتهى ما ذكر الرازى فى كتابه .

بينما يعكف علماء البيئة فى وقتنا المعاصر ، على ظاهرة تحدث بالليل ومع الساعات المبكرة من الصباح ، رأيناها فى سماء القاهرة بمصر ويكون حدوثها فى شهور الخريف (بمصر) ،وقرأت أن هذا الدخان قد ظهر مثله فى طهران بإيران طوكيو باليابان ، أوتاوا بكندا ، وبعض المدن الكبرى فى أنحاء مختلفة من العالم. وأرجع بعض الباحثين بمصر أن سبب حدوث تلك الظاهرة هو انتشار حريق أو هو إحراق المخلفات الزراعية ، ومقالب القمامة ، وإذا ثبت صحة ذلك محليا فكيف يمكن ثبوت ذلك بالعواصم العالمية المتناثرة التى تعانى من نفس الظاهرة وآثارها السيئة .

وذهب بعض الباحثين إلى أنه يمكن القول بأن : حالة وقوع حرب نووية محدودة بين الدول النووية ، سيؤدى بالضرورة إلى وجود سحابة دخانية هائلة تحجب أشعة الشمس عن الأرض ، وهو الأمر الذى يهدد الحياة عليها بالفناء ، نتيجة للبرودة والتجمد اللذين ينجمان عن عدم وصول أشعة الشمس إلى الأرض .

وقال آخرون : إن ظاهرة الاحتباس الحرارى هى المسئول المباشر فى حدوث وإحداث تلك الظاهرة وكذلك فى استفحال حجمها وآثارها على السواء .

وما روى عن النبى ﷺ بأن أدل الآيات الدخان ، وكذلك تعريفه ﷺ للدخان وقد تقدم بيان ذلك فى رابعًا ضمن القول الثانى فى الدخان بذات الموضوع على النحو المتقدم لهو أول بالإعمال والتقدير .

❊ ❊ ❊

هلاك الأخطبوط

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٨][(١)] .

اعلم أنه تعالى لما قال : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ .

[الإسراء : ٥٧] .

بين بذلك أن كل قرية مع أهلها أمرها مشروط - فلابد وأن يرجع حالها إلى أحد أمرين : **إما الهلاك ، وإما التعذيب** .

قال مقاتل : أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فالبعذاب .

وقيل : المراد من قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ قرى الكفار ، ولابد وأن تكون عاقبتها أحد أمرين : إما الاستئصال بالكلية ، وهو المراد من الإهلاك أو بعذاب شديد دون ذلك من قتل كبرائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبى واغتنام الأموال وأخذ الجزية ،ثم بين تعالى أن هذا الحكم حكم مجزوم به واقع فقال : ﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ ومعناه ظاهر .

وأقول فى قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ يفيد انسحاب الحكم بالعموم على كل القرى لا بالقصر على قرى الكفار ، لما وقع بين أيدينا من أحاديث صحيحة جملة محصلتها أن مكة المكرمة سوف تخرب ويكون تخريبها على يد ذى السويقتين من الحبشة ، وتخريب المدينة المنورة بعد نزول عيسى عليه السلام من

(١) يمكنك الاسزذادة ص ١٢٠ الجزء التاسع عشر المجلد العاشر ضمن كتاب ، فتح البارى للبخارى .

الله وموته ودفنه بها ، حيث تخرب على يد أمراء السوء بعد إخراج أهلها منها .

وعليه فإن الحكم بنزول العذاب أو الهلاك بالكلية ، أمر محتوم لما فى ذاكرة التاريخ وقد ورد ضمن آيات القرآن الكريم ما يفيد وقوع العذاب أو الهلاك لقوله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد** ﴾ وقوله : ﴿ **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد** ﴾ وقوله : ﴿ **وفرعون ذى الأوتاد** ﴾ وقوله : ﴿ **فأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود** ﴾ وكذلك : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ وقوله : ﴿ **فأخذناهم بالسنين** ﴾ إلى غير ذلك .

وعند صدر الإسلام ،هلك كسرى ، ولا كسرى بعده[١] . وهلك قيصر ولا قيصر بعده[٢] .

ورحلت دولة العثمانيين على يد بريطانيا . وانحسرت بريطانيا التى قيل أنها لا تغيب عنها الشمس[٣] .

وتقوقعت فرنسا وقبلها البرتغال وأسبانيا وهولندا وإيطاليا .

وانهار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى سابقًا وتقطعت أوصاله إلى دويلات قزمية تدور بينها معارك دامية الآن بسبب العرقيات والقوميات والدين كما هو الحال فى الشيشان والبوسنة وأذربيجان والألبان فى مقدونيا وصربيا والجبل الأسود .

وإذا كان أمر كل قرية مع أهلها ، فانظر بعين الترقب إلى تلك الدولة الخنزيرية التى شرعت للحريات العامة ما لا يقره دين ولا يرضاه عقل من قوانين ولوائح على سبيل التمثيل لا الحصر :

---

(١) يكنى به عن دولة الفرس .
(٢) يكنى به عن دولة الروم .
(٣) يكنى بذلك عن اتساع ملكها ومستعمراتها فى العالم كله .

إقامة الأسرة المعاصرة عن طريق زواج الرجل بالرجل والأنثى بالأنثى .

إقامة دور اجتماعية لرعاية الشواذ من الجنسين .

إنشاء نوادى اجتماعية وجمعيات حكومية وغير حكومية لرعايتهم .

التوسع فى الحريات الشخصية وإلغاء دور الأب والأم فى رقابة أبنائهم .

وإصدار تشريعات بعقوبة الحبس لولى الأمر الذى يحاول تقليص أو رقابة الحريات الشخصية .

وعلى رأس تلك الحرية الجنسية إباحة العُرى الجسدى فى الطرقات العامة .

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال : « وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

واعلم بأن الفساد معلق بالترف لقوله تعالى : ﴿ **أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا** ﴾ والترف من التنعم بمتاع الدنيا لما ملكته الأيادى من رؤوس أموال ومدنية ، وعلمانية وما استقر فى أفئدة الناس من لهو ولعب واشتغال بملذات الدنيا وإنكار لدين الله .

وهذا هو حال الأخطبوط ، وسينزل به أمر الله لقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ ، [الإسراء : ١٦] ، فهذا مآلها ومآل آمثالها .

﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾ [هود : ١١٧] .

❊ ❊ ❊

مأثورات من أقوال الرسول ﷺ

أ - عودة الإسلام غريبًا

ثبت فى صحيح البخارى من حديث الأعمش عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء - قيل ومن الغرباء ؟ قال : - النُّزَّائح من القبائل » .

ورواه كذلك ابن ماجه عن أنس وأبى هريرة وفى رواية : قيل : ومن الغرباء؟ قال : « الذين يصلحون إذا فسد الناس » .

وفى أيامنا هذه وجدنا أصابع المسلمين تنكسر وتخر قواهم ، وتفتر عزائمهم .

ففى إندونيسيا كان المرتدون عن الإسلام بعد زيارة بابا الفاتيكان لتلك الدولة الإسلامية .

وهناك اضطهاد المسلمين فى بريطانيا وألمانيا وأمريكا وذبح المسلمين فى الفلبين كما حدث فى عصر ماركس .

وهدم المساجد فى الهند .

وإبادة المسلمين فى البوسنة والهرسك والشيشان ، ومحاصرة المسلمين فى السودان وليبيا والعراق وإيران .

وتهجير المسلمين من فلسطين .

وإلغاء الدين الإسلامى وتشريعاته فى دولة تزعمت وحملت راية الإسلام زمنًا وتحول نظام الحكم فيهـا إلى العلمانية المطلقة تلك هى تركيـا التى أسقطت عضوية نائبة فى البرلمان التركى لمجرد أنها ترتدى الحجاب على رأسها .

وإلى غير ذلك من اقتتال الجزائريين بصفة دائمة .

وفى استـراليا أصغـر قارات العالـم والتى تخضع للتاج البـريطانى وتقع فى أقصى الشـرق من العالم لم يسلم المسلمون فيـها من الأذى ، فالمسـاجد (قد تم هدمها) تمامـا كما يحدث فى الهند فضلا عن وقـوع أولى القبلتين وثانى الحرمين (المسجد الأقصى) تحت أسر اليهود الصهيونيين والذى يصرخ منذ عام ١٩٦٧ ألف وتسعـمائة وسبع وسـتين من الميلاد إلى الآن ، ويسـمع صراخه عـمر بن الخطاب وخالد بن الوليـد وصلاح الدين الأيوبى إلا أنهم أو أحدهم لا يستطيع الـقيام من رقـدته لِنجْـدَتِهِ وإن الشجب والاسـتنكار والإدانة والدعـاء إلى الله كل ذلك ليس بكاف لتحرير الأقصى من الأسر وتطهيـره من الدناسات وفى ذلك قال شوقى أمير الشعراء مخاطبًا رسول الله ﷺ :

شـعوبك فى شـرق البـلاد وغربـها كـأصحـاب كـهف فى عـميق ثبـات

بأيمانهـم نوران ذكـر وســـــنة فــمـا بالـهم فى حــالك الظلمــات

وقل ربى وفـق للعــزائم أمــتـــى وزين لهــا الأفــعـــال والعـــزمــات

وهكذا صار المصلح عند فـساد الناس غريبًا فى أفعاله ، شـاذًا فى تفكيره ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** ﴾ .

❊ ❊ ❊

ب - افتراق الأمم

قال ابن ماجه :حدثنا أبو بكر بن شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قـال : قال رسول الله ﷺ : « تفرقت اليـهود على إحدى وسبـعين فرقة وتفرقت النـصارى على اثنتين وسبعين فـرقة وستفـترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة وهى الجماعة » .

جـ - لا تجتمع الأمة على ضلالة

قال أنس بن مـالك :سمعت رسـول الله ﷺ يقول : « إن أمتى لن تجـتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » .

وفى رواية : « عليكم بالسواد الأعظم الحق وأهله » .

د - رفع العلم من الأرض

ثبت فى صحيح البـخارى عن عبد الله بن عمـرو أنَّ رسول الله ﷺ قال : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعـه من الناس ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى أنه إذا لـم يبق عالمٌ اتخـذ الناسُ رؤساء جهَّالاً ، فـسُئلوا فأفـتوا بغـير علم فضلُّوا وأضلُّوا » .

والمقصود : أن العلم يرفع من آخر الزمان ويكثر الجهل .

وفى هذا الحديث إخبار بأنه ينزلُ الجهلُ أى يلهم أهل ذلك الزمان الجهل وذلك من الخزلان .

نعوذ بالله منه ، ثم لا يزالون كذلك فى تزايد من الجهالة والضلالة إلى أن تنتهى الحياة .

كما جاء فى الحديث الذى أخبر به الصادق المصدوق فى قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله ، الله ، ولا تقوم إلاَّ على شِرارِ الناس » .

هـ - الأمر والنهى

قال أحمد :حدثنا زيد بن يحيى الدمشقى حدثنا أبو معبد حدثنا مكحول عن أنس بن مالك قال : قيل يا رسول الله متى ندع الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ؟

قال : « إذا ظهر فيكم ما ظهر فى بنى إسرائيل ، إذا كانت الفاحشة فى كباركم والعلم فى رذالكم ، والملك فى صغاركم » .

ووقع كثير من ذلك فى وقتنا هذا ولعلنا متأكدون من كونه مرئىٌّ بأعيننا ولا أرى ضرورة للخوض فى تفسير ذلك أو التعليق عليه فالمراد من تقريره واضح جلىٌّ .

* * *

تصاعد الحملة ضد المساجد والجاليات الإسلامية في أمريكا.. وأستراليا أيضا

الطلبة العرب في الجامعات الأمريكية يفكرون في العودة بسبب الاضطهاد

كانبرا - لوس انجيلوس - نيويورك - وكالات الانباء

تصاعدت الاعتداءات على المساجد والمراكز الإسلامية على المسلمين في مناطق مختلفة من العالم وذلك في اعقاب الهجوم الارهابي الذي وقع في ١١ من سبتمبر الجاري واستهدف مركز التجارة العالمي والبنتاجون.

ففي بريسبان الواقعة شمال شرقي استراليا اشعلت مجموعة من الشباب النار في المسجد الكائن بضاحية كوراني في ساعة مبكرة من صباح امس بصورة متعمدة بسبب موجة الكراهية التي تعاني منها الجالية الاسلامية في استراليا ، فيما ميتر بياتي مسئول ولاية كوينزلاند التي يقع بداخلها المسجد السكان للهدوء وعدم التعصب الذي استشرى في اعقاب رفض افغانستان تسليم بن لادن.

يعتبر الهجوم الاخير على مسجد بريسبان واحدا من سلسلة الاعتداءات التي استهدفت المساجد والمراكز والمدارس الاسلامية في ولاية كوينزلاند الاسترالية منذ الحادي عشر من سبتمبر كان مسجد اخر قد تعرض لحريق متعمد شب في مدمره في بريسبان ايضا في الاسبوع الماضي كما تعرض اوتوبيس للقذف بالحجارة وبداخله عشرات الطلبة المسلمين مما اسفر عن تحطيم واجهاته الزجاجية.

قال احمد محبوب الرئيس التنفيذي للمجلس الاسلامي ان الاجراءات الامنية التي اتخذتها الشرطة الاسترالية لحماية المسجد حالت دون حدوث المزيد من الاعتداءات مشيرا إلى أن الاعتداءات على المساجد بلغت المئات في استراليا. وفي الولايات المتحدة قال مسئولون في الجامعات الامريكية ان عشرات من الطلاب من الشرق الاوسط يفكرون في العودة الى بلادهم بعد أن أدت الهجمات التي وقعت في الولايات المتحدة في وقت سابق من شهر سبتمبر الى تأجيج المشاعر المعادية لهم.

وخلال الايام الاخيرة تعرض عشرة طلاب على الاقل من الشرق الاوسط لاعتداءات في الجامعات الامريكية في حين تلقى عدة طلاب اخرين تهديدات بالقتل.

دعا رودبيج وزير التعليم الامريكي المعلمين إلى العمل على ضمان سلامة الطلاب العرب وحث عمداء الكليات على التسامح داخل الجامعات.

وفي الوقت نفسه سارعت الشرطة الجامعية الى تعزيز الامن وطلبت الجماعات الاسلامية من الطلاب عدم الظهور بشكل كبير وقد تعرضت طالبة اندونيسية محجبة من جامعة جنوب كاليفورنيا لاعتداء من طالب جرى امام سيارتها عند تحول الاشارة الى الضوء الاخضر وبدأ يهز سيارتها بعنف وغضب ويصرخ في وجهها.

وقالت طالبة مولودة في باكستان في الجامعة الدولية بفلوريدا في ميامي لاحدى وكالات الانباء انها تلقت عدة تهديدات لفظية حتى على الرغم من انها امريكية الجنسية وعاشت في الولايات المتحدة معظم حياتها تقريبا اضافت انهم يفعلون ذلك عندما يرونك في متجر بقالة فهم ينظرون اليك شذرا ويتطلعون اليك بشكل عجيب وشاذ.

قالت متحدثة باسم جامعة نورث كارولينا ان مازن احمد الكاسح وهو طالب من لبنان يبلغ من العمر ١٩ عاما سيترك الجامعة بعد ان صرخ شابان في وجهه «عد الى بلادك يا ارهابي» قبل ان يلويا ذراعه ويضرباه ويكسرا نظارته يوم الاحد الماضي قالت المتحدثة عن لسان الكاسح انه سيعود عندما يحددون من الذي فعلها وعندما يدرك الامريكيون ان المسلمين ليسوا نفس الشيء.. قالت الشرطة ان طالبا سعوديا في كلية مدينة سانتا باربره في كاليفورنيا هوجم اثناء سيرة قرب منزله يوم الاثنين عندما هاجمه رجلان وضربا رأسه في سقف سيارتهما وجرحاه بسكين.

من ناحية اكد المدير التنفيذي للمعهد الاسلامي في واشنطن «عبدالوهاب الكبيسي» ان الحكومة الامريكية على مستوى الادارة والكونجرس تظهران اهتماما كبيرا بالمسلمين ويعلمون جيدا انه لايمكن الفوز بالمعركة القادمة ضد الارهاب دون التعاون العربي والاسلامي داخليا وخارجيا مشيرا الى ان ذلك ظهر خلال لقاء الرئيس بوش مع القيادات الاسلامية في الولايات المتحدة مؤخرا.

قال الكبيسي في مقابلة مع هيئة الاذاعة البريطانية صباح امس ان اجتماعا بين وفد من المعهد الاسلامي في واشنطن وهو احدى الهيئات التي تعنى بشئون المسلمين في الولايات المتحدة وعدد من كبار اعضاء مجلس النواب الامريكي من جمهوريين وديمقراطيين جاء بمبادرة من متحدث في البرلمان الامريكي الذي اتصل بالمعهد الامريكي وطلب عقد اجتماع عاجل استعرض فيه الحوادث التي يتعرض لها المسلمون في الولايات المتحدة.

و - المهدى والملحمة الكبرى

وهو أحد الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، خلافا على ما تنتظره الرافضة وترتجى ظهوره من سرداب سامراء فإن ذلك ما لا حقيقة له ولا عين لأثر ، ويزعمون أنه محمدًا بن الحسن بن العسكرى وأنه دخل السرداب وعمره خمس سنين .

ولرسول الله ﷺ تعريف له بأن يكون فى آخر الدهر وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم كما دلت على ذلك الأحاديث .

قال حجاج : سمعت عليًا يقول : قال رسول الله ﷺ : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلا منا يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا » .

وقيل أيضًا : عن على أنه قال : « المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة » .

كما روى عنه أيضًا قوله : وإذا نظر إلى الحسن فقال إن ابنى هذا سيد وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً .

وروى عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قال : يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة فيأتى ناس من أهل مكة فيخرجونه ، وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام ، وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثًا فيظهرون

عليهـم وذلك بعث كلب ، والخيبـة لمن لم يشهـد غنيمـة كلب ، فيـقسم المال ، ويعمـل فى الناس سنة نبيـهم ﷺ ويلقى السلام بجـرانه إلى الأرض فيلبـث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون .

والمقصـود أن المهدى الممـدوح الموعود بوجـوده فى آخر الزمـان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ، ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك بعض الأحاديث .

وعن أنس بن مالك قـال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نـحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة ، أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى » .

وفى الملحمة روى عن عبد الله بن بشر أن رسول الله ﷺ قال « بين الملحمة الكبرى وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال فى السابعة » .

وقـال معـاذ بن جـبل : قال رسـول الله ﷺ : « الملحـمـة الكبرى وفـتح القسطنطينية ، وخروج الدجال فى سبعة أشهر وثمة إشكال أوقعنا فيه الرواة ، إلا أن يكون بين أول الملحمة ويكون بين آخرها ، وفتح القـسطنطينية مدة قريبة بحيث يكون ذلك مع خروج الدجال فى سبعة أشهر .

والله تعالى أعلى وأعلم .

وما من ضرورة تضطرنا لسياق تفـصيلات عن الملحمة مع الروم ، ويمكن لمن أراد الاستـزادة الرجوع إلى كتـاب الفتن والملاحم الجزء الأخـير من كتـاب البداية والنهاية للإمام ابن كثير .

❊ ❊ ❊

ز - ذهب الفرات

قال البخارى : روى عن أبى هريرة قـوله : قال رسول الله ﷺ : « يوشك الفرات أن يُحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا » .

ورواه مـسلم عـن قتـيبـة عـن أبى هـريرة أن رسـول الله ﷺ قـال : « لا تـقـوم السـاعة حـتى يحسـر الفـرات عن جبل مـن ذهـب يقتـتـل الـناس عـليه فيُقـتـل من كـل مائة تـسع وتسـعون ويقـول كـل رجـل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو » .

وروى مسلم من حـديث عبد الله بن الحارث بن نوفل قـال : كنت واقفًا مع أبى بن كعب فى ظل أجم حسـان فقال لا تزال الناس مختلـفة أعناقهم فى طلب الدنيا فقلت أجل .

قال : إنى سمـعت رسول الله ﷺ يقول : « يوشك الفـرات أن يحسر عن جبل من ذهب فـإذا استـمع به الناس ساروا إليـه ، فيقـول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليـذهبن به كله ، قال فيـقتتلون عليـه فيقـتل من كل مائة تسع وتسعون » .

بينت الروايات السابقة : أن الفرات يوشك أن يحسر عن كنز من الذهب .

وبينًّا سابقًا أن حـربًا ستـقع بسبب المياه ، وذلك فى مـثلث أضلاعـه سوريا والعـراق وتركيـا، وذلك بسـبب ندرة الميـاه الناتج عن إقامـة الـسـدود على نهـر الفـرات لحـرمـان الدولتـين العربيـتـين مـن فيـض مياهـه وتحويـل مـسارها وإذا ما

جفت مياه الفرات كشف الفرات عن كنزه الثمين المتمثل فى جبل من الذهب ستتقاتل عليه الناس بالصفة التى أعلمنا بها رسول الله ﷺ كما هو ثابت فى الأحاديث المتقدمة .

ونعوذ بالله من أن نهلك فى طلب الدنيا كحال من أشار إليهم الحديث .

❊ ❊ ❊

الدجال (مسيح الضلال)

قبل خروج الدجال

وقع فى حـديث الرسـول ﷺ عن يوم الخـلاص قوله : « إن قـبل خـروج الدجال ثلاث سنوات شـداد ، يصيب الناس فيـها جوع شديد ، يأمـر الله تعالى السـماء فـى السنة الأولى أن تمسك ثلث مطرها ، ويأمـر الأرض أن تحـبس ثلث نباتهـا، ثم يأمر السـماء فى السنة الثـانية فـتحبس ثلثى مطـرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها ، ثم يأمر السماء فى السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله » ، فقال ما يعيش الناس فى ذلك الزمان قال : « التهليل، والتكبير ، والتسبيح والتحميد ، ويجرى ذلك عليهم مجرى الطعام » .

وروى عن أبى هريرة قـوله عن النبى ﷺ : « بين يـدى الساعـة قـريب من ثلاثين دجالين كذابين كلهم يقول أنا نبى » .

وروى فى حديث محـمد بن حسن الأسدى قوله : حـدثنا هارون بن صالح الهمـدانى عن الحارث بن عبد الرحـمن بن على أبى الحلاس قال : سـمعت عليًا يقول لعبـد الله السبائى : ويلك والله مـا أفضى إلى بشئٍ كتمتـه أحدًا من الناس ولقد سمعته يقول « إن بين يدى الساعة ثلاثين كذابًا وإنك لأحدهم » .

وجاء فى الأثر أن كـثيرًا قد ادعى النبـوة كالأسود العنسى ومسـيلمة الكذاب وعبد الله السبائى . وغيرهم .

❊ ❊ ❊

وصف الأيام قبله

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو جعفر المداينى (وهو محمد بن جعفر) حدثنا عبادٌ من العوام ، حُدِّثنا من ابن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أيام الدجال سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن ويتكلم فيها الرويبضة – قيل وما الرويبضة – قال : الفويسق يتكلم فى أمر العامة[1] » .

وصف الدجال
لعنه الله وقبحه وخسأه

عن صحابة رسول الله ﷺ أنه قال يوم حذر الناس الدجال : أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله ويقرؤه كل مؤمن » ، وقال : « تعلمون أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه حتى يموت » قول ابن شهاب – من أخبار عمر بن ثابت الأنصارى .

وروى فى صحيحه من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهرانى الناس فقال : « إن الله عز وجل ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » .

---

(١) الساعة .

وروى أيضًا : قـول الرسول ﷺ : « مـا من نبى إلا قد أنذر أمـته الأعـور الكذاب - ألا إنه أعور وإن ربكم ليـس بأعور مكتوب بين عينيه (ك ف ر)» .

وروى البخارى ومسلم فى صحـيحيهما حديث شعـبان بن عبد الرحمن عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم عن الـدجال حديثًا ما حدثه نبى قـومه . إنه أعور وإنه يجئ ومعـه مثـل الجنة والنار فـالتى يقول إنهـا الجنة هى النار ، وإنى أنذرتكم به كمـا أنذر به نوح قومه » .

وجاء عن شقيق عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأنا أعلم بما جاء مع الدجال معه نهران يجـريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج[1] فإمـا أدركن أحدًا فليـأت النهر الذى يراه نارًا ولـيغمض ثم يطـأطأ رأسه فيشرب منـه فإنه ماء بارد ، وإن الدجال ممسوح العين عليهـا ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن من كاتب وغير كاتب » .

وقال ﷺ : زيادة فى بيانه وإظهار فتنه للـناس : « إنه شاب قطط عينه طافية إنى أشبهه بعبد العزى بن قطب فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف ، إنه خـارج حلة بين الشـام والعراق ، فـــعاث يمينًا وعـاث شـــمالاً ، يا عـبـاد الـله فاثبتوا » .

قلنا : يا رسول الله وما لبثه فى الأرض قال : « أربعون يومًا ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » .

قلنا : يا رسـول الله : وما إسراعـه فى الأرض قال : « كـالغيث اسـتدبرته الريح فيأتى على القـوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستـجيبون له فيأمر السـماء فتطمر

---

(١) تستعر .

والأرض فتنبت فتمر عليهم سارحتهم أطول ما كان درًا وأشبه ضروعًا ، وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم من أموالهم شىء ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل . ثم يدعو رجلا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعًا كتفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان اللؤلؤ ، ولا يحل لكافر يجدُ ريحَ نفسه إلا مات » .

وسيأتى الكلام عن ذلك فى مقامه إن شاء الله تعالى .

❊ ❊ ❊

قال هشام بن عامر لجيرانه :إنكم لتخطونى[1] إلى رجال ما كانوا لأخص لرسول الله ﷺ ولا أوعى لحديثه منى وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال » .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : وجدت هذا الحديث فى كتاب أبى بخط يده : حدثنى عبد المتعالى بن عبد الوهاب حدثنى يحيى بن سعيد الأموى حدثنا مجاهد عن أبى الوداك قال : قال لى أبو سعيد : هل تقر الخوارج بالدجال ؟ قلت: لا . قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى خاتم ألف نبى وأكثر وما بعث نبى يتَّبعُ إلا وقد أنذر أمته وإنى قد بُيِّن لى من أمره ما لم يبين لأحد ، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة فى حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب درى معه من كل لسان ومعه صورة الجنة

(١) تكتبوا فى والمراد تشتكوننى .

خضراء يجرى فيها الماء ، وصورة النار سوداء تدخّن » .

تفرد به أحمد .

ومن طريق آخر عن أنس بن مالك رضى الله عن قال أحمد ، حدثنا بهز وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يجئ الدجال فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة فيأتى المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها صفوفًا من الملائكة فيأتى سنجة الجرف فيضرب رواقه فترجف المدينة ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة وفى رواية أولاد الزنا » .

شيعة الدجال

قال محمد بن مصعب : حدثنا الأوزاعى عن ربيعة عن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال من يهود أصبهان معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السِّيجان » .

ووقع فى الحديث أن من شيعته الشياطين لما ورد فى قول الرسول ﷺ : «وإن من شدة فتنته أن يأتى الأعرابى فيقول : أرأيت إن أحييت لك إبلك ، ألست تعلم أنى ربك ؟ فيقول : بلى ، فتتمثَّل له الشياطين نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعًا، وأعظمهن أسنمة ، قال : ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت إن أحييت أباك ، وأحييت لك أخاك ، ألست تعلمُ أنى ربك ؟ فيقول : بلى ، فتمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه ومن شيعته كذلك المنافقين وأولاد الزنا .

كذلك الذى ثبت فى الصحيح من قوله ﷺ : « لتنزلن طائفة من أمتى أرضًا يقال لهـا البصـرة ، يكثر بها عـدوهم ويكثر بهـا نخلهم ، ثم يجئ بنو قنطوراء عراض الوجـوه صغار العيـون حتى ينزلوا على جسـر لهم يقال له دجلة فيفـترق المسلمون ثلاث فرق : فأما فرقة فيأخذون بأذناب الإبل ويلحقون بالبادية وهلكت، وأما فرقـة فتأخذ على أنفسـها فكفرت فهـذه وتلك سواء ، وأما فرقة فـيجعلون عيالهم خلف ظهورهم ، ويقاتلون فقتلاهم شهداء ، ويفتح الله على بقيتها » .

يتبين فى الجـزء من الحديث المتقدم حـال المنافقين وهم أخص شيعـة الدجال فمن ساق إبله وقصد البدو والبادية ، هلك ومن أخذ على نفسه كفر فهلك فكانت الفرقتان سـواء ويتبين كذلك أن فتحا من الله ونصرًا منه يكون للبـقية التى حملت أولادها على ظهرها وأرواحها على أكفها ، وفاز من قُتل منهم بالشهادة .

ثم ما قال أحـمد : حدثنا يونس ، حدثنا حـماد يعنى ابن سلمة عن سـعيد الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق عن محجن بن الأوزع أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال : « يوم الخلاص » ثلاثًا ، فقيل له ،وما يوم الخلاص ؟ قال : « يجئ الدجال فيـصعد أحُدًا فينظر إلى المديـنة ، فقال لأصحابه : هل تـرون هذا القصر الأبلق ، هذا مسجـد أحمد ، ثم يأتى المدينة فيجـد فى كل نقب من أنقابها ملكًا مُصَلَتًا سيـفه ، فـيأتى سـبخـة الحرب فيـضرب رواقـه ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فلا يبـقى منافق ولا منافقة ، ولا فاسق ولا فاسـقة ، إلا خرج إليه ، وذلك يوم الخلاص » . تفرد به أحمد .

وروى عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال :« ينزل الدجـال فى هذه السبخة بمر قناة فيكون أكثر من يخرج إليه النسـاء حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيـوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه ثم يسلط الله المسلمين

عليه فيـقتلونه ، ويقتلون شيـعته حتى إن اليهـودى ليختبئ تحت الشجـرة والحجر فيقول الحجر والشجر للمسلم هذا يهودى تحتى فاقتله » .

بيان فتنة الدجال وتحقيره

روى أبو داود من حديث قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « سيخرج أناس من أمتى من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن[١] قطع حتى يخرج الدجال فى بقيتهم .

وروى عن عمـران بن حصين عن النبى ﷺ أنه قال من سـمع بالدجال فلينأ منه ، قالهـا ثلاثًا - فإن الرجل يأتيه فـيحسب أنه مـؤمن فما يزال به لما مـعه من الشبه حتى يتبعه » .

والمعنى : أنه مـعه شيـاطين يشبـهون بالأمـوات يقول للحى أتعـرفنى ، أنا أخوك، أنا أبوك ، أنا ذو قـرابة منك ، ألست قد مت ؟ هذا ربنا فاتـبعه فيـقضى الله ما شاء منه .

ولئن سأل سـائل : لماذا لم يذكر القرآن الكريم تصريحًا أو تلمـيحًا أو تنويهًا يكذب المسيح الدجال وعناده بالرغم من كثرة شروره وفـجوره وانتشار أمره ودعواه بالربوبية مع كونه مقرون به الكذب والافتراء .

نقول نقلاً عن البخارى فى صحيحه لم يذكر بصريح اسمه أو فعله فى القرآن الكريم احـتقارًا له حـيث يدعى الإلهيـة ، وهو بشر ينـافى جلال الرب وعظمـته

(١) جماعة أو قوم .

وكبريائه وتنزيهــه عن النقص فكان أمره عند الله أحقر من أن يذكـر ، وأصغر من أن يجلى عن أمر دعواه ويحذر .

لكن الرسل جـميـعًا بينوا لأممهم أمـر الدجال ، وحـذروهم معـه من الفتن المضلات فـوكل بيان أمـره إلى كل نبى كريم وهو أحـقر من الذكـر فى آى القرآن الكريم العظيم ورُبَّ قال قائل إن فرعون قد ذكر فى القرآن الكريم .

نقول : إن فرعون الذى علا فى الأرض وجعل أهلها شيعًا واستضعف طائفة منهم قد ورد صراحة فى القرآن الكريم لأن أمره قد مضى ، وانقضى ، وتبين أمره لكل مؤمن وعاقل ، أما أمر الدجال فإنه سيأتى مستقبلاً .

وكائن فيمـا يُستقبل فتنة واختبـارًا للعباد ، فترك ذكره فى القـرآن احتقارًا له وامتحانًا به .

فالدجال ظاهر النقص واضـح الذم بالنسبة للمقام الذى يدعـيه ويرومه[1] من الربوبية ، فترك الله ذكره والنص عليه .

ويبين استـحقاقـه للازدراء والتنكير والتحـقير ما بـيَّنه الرسول ﷺ فى منهج الدجال على الأرض ، إذ قال عنه ﷺ : « الدجـال ليس به خفاء ، إنه يجئ من قبل المشرق ، فيدعو إلى حق فيتبع وينصب للناس فيقاتلهم فيظهر عليهم فلا يزال كذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر دين الله ، ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك ، ثم يقول بعد ذلك إننى نبى فيفزع من ذلك كل ذى لب ويفارقه ، ويمكث بعد ذلك ، ثم يقول أنا الله ، فتـعمش عينه اليمنى ، وتقطع أذنه ويكتب بين عينيـه كافر فلا يخفى على كل مسلم ، فيفارقه كل أحد من الخلق فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، ويكون أصحابه وجنوده المجوس ، واليهود ،والنصارى وهذه الأعاجم

(١) ينشده .

من المشركين ، ثم يدعـو برجل فيمـا يرون فيأمر به فـيقتل ثم يقطع أعـضاءه كل عضو على حدة فيفرق بينهـا حتى يراه الناس ، ثم يجمع بينها ثم يضربه بعصاه ، فإذا هو قـائم فيقول أنا الله أحى وأمـيت ، وذلك سحر يسـحر به أعين الناس ، ليس يصنع من ذلك شيئًا .

حديث تميم الدارى

وتميم الدارى كان رجـلاً نصرانيًا ، فجـاء إلى رسول الله ﷺ فـبايع وأسلم وحدثه حديثًا .

قال ﷺ : حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شـهرًا فى البـحـر ثم أرسوا إلى جـزيرة فى البحـر حين مغـرب الشمس ، فجلس فـى أقرب السفينة ، فدخلوا الجـزيرة فلقيتهم دابة أهلب كـثيرة الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقالوا ويلك ؛ ما أنت ؟

فقالت : الجساسة[1] .

قالوا وما الجساسة ؟

قـالت : أيهـا القـوم انطلقـوا إلى هذا الرجل فى الدير فـإنه إلى خـبـركم بالأشـواق .

قال : لما سمت لنا رجـلا ففزعنا منها أن تكون شيطانة ، قـال فانطلقنا حتى دخلنا الدير فإذا فـيه أعظم إنسان رأيناه قط ، وأشـده وثاقًا ، مجمـوعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد .

(١) امرأة تجر شعر جلدها ورأسها .

قلنا : ويلك ما أنت ؟

قال : قد قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أنتم ؟

قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا فى سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهـرًا ثم أرفينا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقـربها فدخلنا الجزيرة فلقـيتنا دابة أهلب الشـعر لا ندرى قبله من دبره من كـثرة الشعـر فقلنا : ويلك من أنت ؟ فقالت : أنا الجـساسة ، قلنا : وما الجساسـة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل بالدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال :أخبرونى عن نخل بيسان ؟

فقلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟

قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟

قلنا : نعم .

قال : أما إنه يوشك أن لا يثمر ، قال أخبرونى عن بحيرة طبرية ؟

قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟

قال : هل فيها ماء ؟

قلنا : هى كثيرة الماء .

قال : إن ماءها يوشك أن يذهب ، قال أخبرونى عن عين زغر ؟

قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟

قال : هل فى العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له : نعم هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من ماءها .

قال : أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟

قالوا : قد خرج من مكة ، ونزل يثرب .

قال : أقاتلته العرب ؟

قلنا : نعم .

قال : كيف صنع بهم ؟

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه .

قال لهم : قد كان ذلك ؟

قلنا : نعم .

قال : أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه ، وإنى أخبركم عنى .

أنا المسيح[1] وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قـرية إلا أهبطها فى أربعين ليلة إلا مـكة وطيبة ، فـهما مـحرمـتان علىَّ كلتاهمـا ، كلما أردت أن أدخل واحدة أو إحـداهما استـقبلنى ملك بيـده السيف صلتًا يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

❊ ❊ ❊

---

(١) المعنى : المسيح الدجال .

ذكر ما يعصم من الدجال

لما اضطرب خاطر عـائشة زوج الرسول ﷺ من حديث الدجـال قال ﷺ : «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجـه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرء حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم » .

وقال ﷺ : « فـمن أدركـه منكم فليقـرأ فواتح سـورة الكهف » وفى رواية خواتيم .

وثبت فى الصـحيـحين أن رسول الله ﷺ كـان يتعـوذ من فتنة الدجـال فى الصـلاة وأنه أمر أمـته بذلك أيضًا : « اللهم إنا نعـوذ بك من عذاب جـهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » .

وقال أبو الـدرداء أن رسول الله ﷺ قال : « مـن حفظ عشـر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » .

ورواه قتادة فقال : « من حفظ من خواتيم » .

كما ثبت فى الصحـيحين أنه لا يدخل مكة ولا المدينة تمنعه الملائكة من هاتين البقـعتين فهـما حرمان آمنان منـه وإنما إذا نزل سبخة المديـنة ترجف بأهلها ثلاث رجفات إمـا حسا أو معنى على القولين ، فـيخرج إليه كل منافق وفـاسق ومنافقة وفاسقة ، ويومئذ تنفى المدينة خبثها وينصع طيبها .

يضاف إلى ذلك فـيما يعـصم من الدجال سُكنى أعالى الجـبال لخطاب الحق سبحانه وتعالى لعيسى ابن مريم : « وحـرز عبادى إلى الطور » كما سنبينه لاحقًا إن شاء الله تعالى .

وثبت فى صحيح مسلم : فيما روى عن جابر ، عن أم شريك أن رسول الله ﷺ قال : « ليفرنّ الناسُ من الدجال يلحقوا برؤوس الجبال » .

قلت : يا رسول الله أين العرب يومئذ ؟ قال : « هم قليل » .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع

أولا : نزول عيسى عليه السلام (مسيح الهدى) .
ثانيا : مقتل الدجال .
ثالثا : يأجوج ومأجوج بين السد والفتح .
رابعا : تخريب الكعبة شرفها الله .
خامسا : تخريب المدينة المنورة .
سادسا : خروج الدابة .
سابعا : طلوع الشمس من المغرب .
ثامنا : قتل إبليس .
تاسعا : أهل آخر الزمان .
عاشرا : بين النارين .

المبحث الرابع :

بداية النهاية

أولاً : نزول عيسى عليه السلام
(مسيح الهدى)

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** ﴾ [الزخرف : ٦١] أى عيسى عليه سلام الله – نزوله شـرط من أشراط الساعـة – تُعلم به فسُمى الشـرط الدال على الشئ علما لحصول العلم به وقرأها أُبَىٌّ « لَذِكْرٌ » .

وقال رسـول الله ﷺ فيـما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : « والـذى نفسى بيده ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسـرُ الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها » .

ثم يقول أبو هريره واقـرؤوا إن شئتم : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** ﴾ [النساء : ١٥٩] .

وفيـما روى أبو هريرة رضى الله عنه عن الرسـول ﷺ أنه قال : « الأنبـياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنى أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفـوه – رجل مربوع الحمرة والبياض عليه ثوبان الجـزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله فى زمـانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله فى زمانه الدجال ثم تقع الأَمَنَةُ على الأرض حتى ترتع الأسود

مع الإبل والنمار[1] مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون .

وفى حديث الرسول ﷺ عن يوم الخلاص[2] قال : « فيكون عيسى ابن مريم فى أمتى حكمًا عدلاً وإمـامًا مقسطًا يدق[3] الصليب ويذبح الخنزير ويترك الـصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة[4] حتى يدخل الوليـد يده فى فم الحية فلا تضـرهُ ويفر الوليدة الأسد فـلا يضرها ، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبهـا وتملأُ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمـة واحدة فلا يُعـبدُ إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها وتـسلب قريش ملكها وتكون الأرض كفانور الفضة تنبت نباتهـا كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفـر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، ويكون الفرس بالدريهمات .

قيل : يا رسول الله وما يرخص الفرس ؟ قال : « لا تركب لحرب أبدًا » .

قيل له : وما يغلى الثور ؟

قال : « تحرث الأرض كلها . . » الحديث .

❊ ❊ ❊

(١) النمار جمع نمر .
(٢) يوم تنفى طيبة خبثها وينصع طيبها .
(٣) يُحطِّم ويكسر .
(٤) تنزع السموم من الحشرات والزواحف السامة كالعقرب والثعبان .

صفاته عليه السلام وزمان ومكان نزوله

روى البخارى عن أحمد بن محمد المكى عن إبراهيم بن سعد الزهرى عن سالم عن أبيه قال : لا والله ما قال رسول الله ﷺ لعيسى أحمر ولكن قال : «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء فقلت ما هذا - قالوا ابن مريم » .

وورد أن رسول الله ﷺ لما حكى عن الدجال وقع فى حديثه ﷺ قوله : « . . فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعًا كتفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان اللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب « لد » فيقتله ثم يأتى قوم عيسى قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوهم ويحدثهم عن درجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم فحرِّز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيسير أوائلهم فى بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون موتى كنفس واحدة .

ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه من حرز الطور إلى الأرض ، فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زُهمُهم ونَتَنُهم ، فيرغب نبى الله عيسى إلى الله ، فيرسل

الله طيرًا كأعناق النجب فتحـملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرًا لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الله الأرض حتى يتـركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردُى بركتك فيـومئذ تأكل العصابة[1] من الرمانة ويستظلون بقحـفها ويُبـارك فى الرسل حتى إن اللقـحة من الغنم لتكفى الفـئام من الناس ، واللقحة من البـقر لتكفى القبيل من الناس ، واللقحـة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبـقى شرار الناس يتهارجون فـيها تهارج الحمـر ، فعليهم تقوم الساعة .

والمعلوم أنه ليس بدمشق منارة تعـرف بالشرقية سوى الـتى إلى جانب الجامع الأموى بدمـشق من (شرقـيه) وهو أليق وأنسب لأن ينزل وقـد أقيـمت الصلاة فيقـول له إمام المسلمين : يا روح الله تقدَّم ، فيـقول عيسى عليـه السلام : تقدم أنت فإنها أقيمت لك .

وروى من طريق آخر فى بعض الأحاديث أنه ينزل ببيت المقدس ، وفى رواية بالأردن ، وفى أخرى بمعسكر المسلمين .

وإن كنت أميل إلى إعمال القول القائل بأن نزوله عند المنارة الشرقية التى إلى جانب الجامع الأمـوى فهذا أليق وأنسب لكثرة الأحاديـث المتواترة فى ذلك القول ولتعدد رواياته ولصدق رواته .

ووقع فى حديث أنه يمكث فى الأرض أربعين سنة ،وثبت فى آخر أنه يمكث سبع سنين قـبل موته ودفنه بالمدينة المنورة فإذا حـملنا مدة السبع سنين إضـافة إلى عمره ثلاثًا وثلاثين قبل رفـعه إلى السماء على المشهور فى الروايات لـيصبح مكثه

---

(١) الجماعة .

أربعين عامًا ، والاختـلاف على ذلك لا طائل منه والأجدر عدم الاشـتغال به إنما التصديق بنزوله .

وثبت أنه يحج فى مـدة إقامتـه فى الأرض بعد نزوله ، وروى أن أصـحاب الكهف يكونون حوارييه ، وإنهم يحجون معـه ويكون وفاته بالمدينة النبوية فيصلى عليه هناك ويدفن بالحجـرة النبوية ويكون رابعًا بجوار عمـر والصديق ورسول الله ﷺ .

* * *

المبحث الرابع :

ثانيًا : مقتل الدجال

قال أحمد : حدثنا سليمـان بن داود ، حدثنا حرب بن شداد عن يحيى عن أبى كثـير ، حدثنى الحـضرمى بن لاحق ، أن ذكوان أبا صـالح أخبره أن عـائشة أخبـرته قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكى ، قـال : « ما يبكيك ؟ » . قلت : يا رسول الله ذكرت الدجال فـبكيت . قال رسول الله ﷺ : « إن يخرج الدجال وأنا حى كفيتكموه وإن يخرج بعدى فإن ربكم ليس بأعور ، إنه يخرج فى يهودية أصبـهان حتى يأتى المدينة فينزل ناحـيتها ولها يومـئذ أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتى الشام - مدينة بفلسطين - باب لد - فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ، ثم يمكث عيسى فى أربعين سنة إمامًا عادلاً وحكمًا مقسطًا .

ووقع قول : بأن نزول عـيسى عليه السلام يـكون فى أيام الدجال على المنارة الشرقية بدمـشق ، فيجتمع عليه المؤمنون فـيلتف معه عباد الله المتقون فـيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قاصدًا نحو الدجال ، وقد توجه نحو بيت المقدس فيدركـه عند عقبة أفيق . فينهزم منه الدجال فـيلحقه عند باب مدينة [لد] فيقتله بحربته وهو داخل إليـها ويقول له إن لى فيك ضربة لن تفوتنى ، وإذا واجه الدجال ينداع[1] كما ينحال الملح فى الماء فيتدراكه فـيقتله بالحربة بالحربية بباد

(١) يتحلل ويذوب .

لد ، فتكون مقتلته هناك لعنه الله .

كما دلت على ذلك صحاح الأحاديث من غير وجه .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع :
ثالثًا : يأجوج ومأجوج بين السد والفتح

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف : ٩٠ - ٩١] .

اعلم أنه تعالى لما بين أولاً أن ذا القرنين قصد أقرب الأماكن المسكونة من مغرب الشمس أتبعه ببيان أنه قصد أقرب الأماكن المسكونة من مطلع الشمس فبين الله تعالى أنَّه وجد الشمس تطلع على قوم لم يجعل الله لهم من دونها سترًا .

وفيه قولان(١) :

الأول : أنه ليس هناك شجر ولا جبل ولا أبنية تمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم فلهذا السبب إذا طلعت الشمس يتعذر عليهم التصرف فى المعاش ، وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش ، حالهم بالضد من أحوال سائر الخلق .

الثانى : أن معناه أنه لا ثبات لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبدًا ويقال فى كتب الهيئة إن حال أكثر الزنج كذلك وحال كل من يسكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ .

وفيه وجوه :

الأول : أى كذلك فعل ذو القرنين أتبع هذه الأسباب حتى بلغ ما بلغ وقد

(١) انظر نهاية الكتاب ص ١٤٣ التوثيق .

علمنا حين ملكناه من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به .

الثانى : كذلك جعل الله أمر هولاء القوم على ما قد أعلم رسوله عليه السلام فى هذا الذكر .

الثالث : أنه تم الكلام عـن قـوله : ﴿ **كَذَلِكَ** ﴾ والمعنى أنه تعالى قـال أمر هؤلاء القوم كما وجدهم عليه ذو القرنين .

ثم قال بعده : ﴿ **وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا** ﴾ أى كنا عالمين بأن الأمر كذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا** ﴾ [الكهف : ٩٢ - ٩٥] .

اعلم أن ذا القرنين لما بلغ المشرق والمغرب اتبع سـببًا آخر وسلك الطريق حتى بلغ بين السدين ، وقد آتاه الله من العلم والقدرة ما يقوم بهذه الأمور .

وقرأ حمزة والكسائى « السُّدين » وكذلك « سدًا » .

وقرأ حفص عن عاصم فيهما (بالفتح) فى كل القرآن .

واختلف اللغويون وقال الكسائى هما لغتان .

قـال فى الكشاف (السُّدُّ) بالـضم فعل بمعنى مـفـعول أى هو ممَّا فـعله الله وخَلَقهُ ، والسَّدُّ بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس .

وورد أن موضع السـدين فى ناحية الشمـال ، وقيل جبلان بين أرمـينية وبين أذربيجـان ، وقيل هذا المكان فى مـقطع أرض الترك ، وحكى مـحمـد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن صاحب أذربيجان أيام فتحها وجه إنسانًا إليه من ناحية الخزر

فشاهده ووصف بنيانه أنه بنيان رفيع وراء خندق عميق وثيق منيع .

وقـد يقصـد أن ذا القـرنين لما بلغ ما بين السـدين وجد من دونهمـا أى من ورائهما مجاوزًا عنهما (قومًا) أى أمة من الناس ﴿ **لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً** ﴾ قرأ حمزة والكسائى ﴿ **يَفْقَهُون** ﴾ بضم الياء وكسر القـاف على معنى لا يمكنهم تفهيم غيرهم وقرأ الباقون بفتح الياء والقاف .

والمعنى أنهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم وما كانوا يفهمون اللسان الذى يتكلم به ذو القرنين .

وربما كان القول ﴿ **لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً** ﴾ يدل على أنهم لا يفهـمون شيئًا، بل يدل على أنهم قد يَفقَهون « يفهمون» على مشقة وصعوبة .

وربما كان بمعنى المقاربة كـأن يقال لا يكادون يفهمونه إلا بعد تقـريب ومشقة من إشارة ونحوها .

قوله : ﴿ **إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ** ﴾ سيرد إن شـاء الله بعد قليل ذكر اسمـيهما وأصل اشتقاقهما حين يردُ موضع ذلك .

قوله : ﴿ **فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا** ... ﴾ الآية .

قيل الخُرج بغير ألف هو الجُعل لأن الناس يخرج كل واحد منهم شيئًا فيخرج هذا أشياء وهذا آخر والخراج هو الذى يجبيه السلطان من الناس كل سنة .

قال الفراء : الخراج هو الاسم الأصلى والخرج كالمصدر وقال قطرب : الخرج الجزية والخراج فى الأرض .

ثم قال ذو الـقرنين : ﴿ **مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا** ﴾ .

أى ما جعلنى مكينًا من المال الكثير واليسار الواسع خير مما تبذلون من الخراج فلا حاجة بى إليه .

قرأ ابن كثير : ﴿ **مَا مكننى** ﴾ بنونين على الإظهار والباقى بنون واحدة مشددة على الإدغام .

وثبات المعنى على أنه لا حـاجة لى فى مالكم ولكن « **أعينونى** » برجالٍ وآلةٍ أبنى بها السد .

والردم هو السد كـأن يقال ردمت البـاب أى سددته ، وردمتُ الثَّوب رقعـته والردم أكثر من وقولهم ثوب مردوم أى وضعت عليه رقاع .

قوله تعالى : ﴿ **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴾[الكهف : ٩٧ - ٩٩] .

ويراد بقوله : ﴿ **زُبَرَ الْحَدِيدِ** ﴾ قطعهُ ، قال الخليـل : « الزُبرَةُ » من الحديد القطعة الضخمة .

القطر : النحاس المذاب لأنه يقطر .

الصَّدَفَين : جانبـا الجبلين لأنهمـا يتصـادفان أى يتقـابلان ، وقرئَ الصَّدفين بضمة وسكون ، والصدفين بضمتين .

قوله تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ** ﴾ فيه إضمـار أى فأتوه بها فوضع تلك الزُّبُرَ بعضـها على بعض حتى صارت بحيث تسـد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنـافخ عليها حتى إذا صارت كـالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصارا جبلاً صلدًا .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا ﴾ بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ « اصطاعـوا » بقلب السين صاداً ﴿ أَن يَظْهَرُوه ﴾ أى يعلوه أى ما قدروا على الصـعود عليـه لأجل ارتفاعه ومـلاسته ولا على نـقبه لأجل صـلابته وثخانته .

ثم قال ذو القرنين بعد أن أتم أو أُتِمَّ له الردم قال : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ فقوله هذا إشـارة إلى السد أى هذا السد نعمة من الله ورحمـة على عباده أو هذا الاقتدار والتمكين من تسويته [١] .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ يعنى فإذا دنا فجئ يوم القيامة جـاء علـى الســد دكًا (أى مدكوكًا مسوى بالأرض) وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد (اندكَّ) .

وقرء (دكاءًا) أى : أرضًا مستوية ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ .

ووقع فى حديث النواس بن سـمعان بعـد ذكر قتل عيـسى الدجال عند باب «لد» الشرقى . قال : (فبينما هم كـذلك إذ أوحى الله إلى عيسى ابن مريم عليه السلام أنى قـد أخرجت عبـادًا من عبادى لا يدان لك بقتـالهم فحرز عـبادى إلى الطور فيبعث الله يأجوج ومـأجوج ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٦] . . . . . الحديث) .

ويأجوج ومأجوج قيل أنهما من ولد آدم غير حواء .

وقيل أنهم من بنى آدم ثـم بنى يافث بن نوح وبه جزم وهب وغيـره ، وقيل إنهم من الترك ، وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم .

ويأجوج ومـأجوج بغيـر همزة اسمان أعـجميـان مُنعا من الصرف للعلمـية والعجمى .

---

(١) الانتهاء من إنشاءه ، وسوى : فعل .

وقيل عربيان واختلف فى اشتقاقهما .

فقيل من أجيج النار وهو التهابها ، وهو من الأَجَّة بالتشديد : وهى الاختلاط أو شدة الحر .

وقيل : من الأج وهو : سرعة العدو .

وقيل : من الأجاج ، وهو : الملح الشديد الملوحة .

وقيل : مأجوج من ماج إذا اضطرب .

وجميع ما ذُكر من الاشتقاق مناسب لحالهم وقول من جعله من ماج إذا اضطرب قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف:٩٩] . وذلك حين يخرجون من السد .

ويُعلم أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفًا من الذرية وذلك حديث ابن مسعود وللنسائى : « إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا » .

وعن عبد الله بن عمرو قال : الجنُّ والإنس عشرة أجزاء ، فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج . . وجزء سائر الناس .

ومن الناس من وصفهم بقصر القامة ، وصغر الجثة بكون طول أحدهم شبرًا .

ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبتوا لهم مخالب فى الأظفار وأضراسًا كأضراس السباع ، والثانى أليق .

كما اختلفوا فى كيفية إفسادهم للأرض فقيل : كانوا يقتلون الناس .

وقيل : كانوا يأكلون لحوم الناس .

وقيل : كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون لها شيئًا أخضر .

طريق آخر : من طريق شريح بن عبيد عن كعب قال : هم ثلاثة أصناف أجسادهم كالأرز[١] (وهو شجر كبار جدًا) ، وصنف أربعة أذرع فى أربعة أذرع، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى .

بيان أحوال إفسادهم

وقد ورد فى حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى ابن مريم قال : « ثم يأتيه قوم قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عبادًا لى لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماءًا، ويحصر عيسى نبى الله وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون (فرسى) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه ذهمهم ونتنهم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، ثم يرسل طيرًا كأعناق البُخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرًا لا يكون منه مدر ولا بر فيغسل الله به الأرض حتى يتركها كالزلفة[٢] ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ

(١) بفتح الراء وسكون الهمزة .

(٢) الزلقة : قيل إنها المصنع الذى يتخذ لجمع الماء ، والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها حتى تصير بحيث يرى الرائى وجهه فيها .

تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتهـا فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتـأخذهم تحت آباطهم فتقـبض روح كل مسلم ، فيـبقى شرار الناس يتهـارجون تهارج الحُمر وعليهم تقوم الساعة » .

ووقع زيادة : فى رواية لمسلم لذات الموضوع : « فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض ، هلمَّ فلنقتل من فى السماء ، فيرمـون بنشابهم فى السماء ، فيردها الله عليهم مخضوبة دمًا » .

ومن حديث أبى سعيد : فيـقول قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم فيهز آخر حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون : قد قتلنا أهل السماء ، فبينما هم كـذلك إذ بعث الله عليهم دوابًا لنغف الجراد فتأخذ بأعناقـهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضًا .

قال كـعب الأحبار : بأن الطير تحـملهم فتطرحهم بمكان يقـال له المهيل عند مطلع الشـمس ، ويـرسل الله مطرًا لا يكون منه بـيت مـدر ولا وبر أربعين يومًا فيغسل الله الأرض . . الحديث .

إلى أن قال : فبـينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة تحت آباطهم فـتقبض روح كل مسلم ، أو قال مؤمن .

ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر عليهم تقوم الساعة .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع :
رابعًا : تخريب الكعبة شرفها الله

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد الله بن أبى عتبة ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج » تفرد بإخراجه البخارى .

ومن طريق آخر عن عبد الرحمن بن شعبة عن قتادة : قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت » .

فلا تعارض بين الروايتين فإن الكعبة يحجها الناس ويعتمرون بها بعد هلاك يأجوج ومأجوج إذ رزق الله الناس الطمأنينة وكثرت أرزاقهم .

ولقد ثبت فى الصحيح : أن عيسى عليه السلام حج البيت ، أو اعتمر ، أو جمع بينهما ، والذى أطمأن إليه : أن ذلك يحدث بعد أن يُهلك الله يأجوج ومأجوج .

إذًا أن الذى بين أيدينا مؤداه أن الدجال لما استقرت له الأمور وقال أنا الله أحى وأميت ، فإن مسيح الهدى عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة الشرقية بدمشق ، وقد أقيم للصلاة عند الفجر ، فيصلى خلف الإمام ، ويلجأ إليه المسلمون ، وتدور الأحداث سريعة على الدجال ، حتى يدركه عيسى عليه السلام عند باب (لدّ) فيقتله ، وبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أن قد أخرجت عبادًا لى لا يدان لأحد قتالهم فحرز عبادى إلى الطور ، فكان ذلك

وحصـر عيـسى والمسلمون حتـى رغب عيسى لله فـاستـجاب الله تعالـى لدعائه والمسلمين ، فأرسل الله النغف . . الحديث كما تقدم .

يستفاد من ذلك :

أن الأمنة لا تنزل بالناس إلا بعد هلاك يأجوج ومأجوج كما تقدم ذكره وعليه فإنه يحج البيت قبل تخريبها على يد الجهجاه (ذى السويقتين) .

وبعد أن يتم الله للمسيح عيسى عليه السلام حج البيت تقع الثالثة ، تخريب الكعبة على يد ذى السويقتين الأفجح الحبشى قبحه الله .

والثابت فى أكثر من رواية ضمن أكثر من حديث أن أول ظهور ذى السويقتين فى أيام عيـسى ابن مريم عليه الصـلاة والسلام وذلك بعد هلاك يأجوج ومـأجوج ولكن نهاية مخرب الكعبة ذى السويقتين لن تكون فى زمن عيسى وكذلك تخريب الكعبة إذ لو حدث ذلك فى عصر عيسى لقاتلهم على ذلك .

واختلف الرواة عند وفـاة عيسى عليه السلام فـقال بعضهم : أنه بعـد حجه البيت وأثناء عودته إلى الشام مات بالمدينة المنورة .

وقال آخرون : أنه لما بلغ عيسى أمر ذى السويقتين « سار عيسى طليعة ما بين السبعـمائة والثمانمائة » فى طريقـهم إلى الكعبة ومات عـيسى بالمدينة المنورة ودفن بالحجرة النبوية كما تقدم ذكر ذلك ، ويصلى عليه المسلمون .

فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا يمانية طيبة فيقبض فيها روح كل مسلم أو مؤمن ، ويبقى عجاج من الناس يتسافدون كما يتسافد البهائم .

قال كعب : وتكون الساعة قريبة حينئذ .

وفى رواية أخرى : إذا كـان كذلك أن الساعـة كالحامل المـتم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلاً أو نهارًا .

❊ ❊ ❊

صفة التخريب

عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، ويسلبها حليتها ، ويجردها من كسوتها ، وكأنى أنظر إليه أصيلع أقيرع يضرب عليها بمسحاته ومعوله » .

وعن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة أن ابن عباس أخبره أن النبى ﷺ قال : « كأنى أنظر إليه أسود أفجح ينتفضها حجرًا حجرًا » .

وبتحقيق الأسانيد ثبت قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قوله : قال رسول الله ﷺ : « لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالى يقال له جهجاه » .

وثمة احتمال أن يكون هذا اسم ذى السويقتين الحبشى ، والله تعالى أعلم .

وبين أيدينا وقع قول عمر بن الخطاب : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «سيخرج أهل مكة ثم لا يعبر بها أو لا يعبر عنها إلا قليل ، ثم تمتلئ وتبنى ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبدًا .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع :

خامسًا : تخريب المدينة المنورة

ثبت في الصحيح أن الدجال لا يمكنه دخـول مكة والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وثبت أنه يكون على أنقاب مكة ملائكة يحرسونها منه لئلا يدخلها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال : « المدينة لا يدخلها المسيح الدجال ، ولا الطاعون » .

وتقدم أنه يخيم بظاهرها وأنها ترجف بأهلها ثلاث مرات (رجفات) فيخرج إليه كل منـافق ومنافقة وفـاسـقة ويثبت فـيهـا كل مؤمن ومؤمنـة ومسلم ومسلمة ، ويسمى يومئذ يوم الخلاص وأكثـر ما يخرج إليه النساء ، وهي كما قال رسول الله ﷺ : « إنها طيبة تنفي خبثها وينصع طيبها » .

وتظل المدينة بعد يوم الخلاص عامرةً إلى موت عيسى عليه السلام ودفنه بها، ثم تخرب بعد ذلك على يد أمراء السوء .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع :

سادسًا : خروج الدابة

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [النمل : ٨٢] .

والأحاديث المتعلقة بذلك كثيرة ونركز فى هذا المقام على ما يصل بنا إلى بيان الحديث .

قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : « تكلمهم » : أى تخاطبهم مخاطبة ، ورجح ابن جرير تخاطبهم تقول لهم : ﴿ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ .
[النمل : ٨٢] .

وحكاه عن علـى وعطاء ، وفى هذا نظر وعـن ابن عبـاس « تكلـمـهم » (تجرحـهم) بمعنى تكتب على جبين الكافـر كافر وعلى جـبين المؤمن مؤمن وعنه تخاطبهم « تكلمهم » ، تجرحهم « تكلمهم » وهذا القول ينتظم المذهبين وهو قوى حسن جامع لهما ، والله أعلم .

سُمع أبو هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « تخرج دابة الأرض من جياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد وهى دابة ذات وبر وقوائم » .

قول : اعلم أنه تعالـى لما بين بالدلائل القاهرة كمال القـدرة وكمال العلم ثم أضاف على ذلك القـول بإمكان الحشر ، وبـين على وجـوه مـختلـفات إعـجاز القرآن الكريم .

واعلم أنه تعـالى ذكر تارة ما يكون مـن علامات القـيامة وتـارة الأمور التى تحدث عند قيام القيامة ، فذكرأولاً من علامات القيامة دابة الأرض .

والناس تكلموا فيها من وجوه :

الأول : فى حجم ومقـدار جسمها وثبت فى أحاديث رواية أن طولهـا ستون ذراعًا وأن رأسها تبلغ السحاب .

ثانـيًا : فى كيـفيـة خلقهـا ففى وصـفها أن لـها أربعة قـوائم وزغب وريش وجناحين وعن ابن جريـر فى وصفها : رأس ثـور ، وعين خنزير ، وأذن فيل ، وقرن أيل ، وصـدر أسد ، ولون نمر ، وخاصـرة بقـرة ، وذنـب كبـش ، وخُفّ بعير .

ثالثًا : فى كيـفية خروجـها ، عن على رضى الله عنه أنهـا تخرج ثلاثة أيام والناس ينـظرون فـلا يخـرج إلا ثلثـها ، وعـن الحسن لا يتم خـروجها إلا بـعد ثلاثة أيام .

رابعًا : فى موضع خروجها (سئل النبى ﷺ) من أين تخرج الدابة ؟

فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى (المسجد الحرام) .

وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية .

وإن صح الخبـر عن الرسول ﷺ قـبل وإلا لم يلتفت إليـه لأنه لا دلالة فى الكتاب على شيء مما تقدم .

أما قوله تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم** ﴾ فالمراد من القول متعلقة .

وهو ما وُعـدُوا به من قيام الساعـة وحصول وقوعـها والمراد مشارفة الـساعة وظهور أشراطها .

وقوله تعالى : « تكلمهم » فقرئ تكلمهم أى تجرحهم كما تقدم .

ويجوز أن تكلمهم للمبالغة من الكلم[1] على معنى التكثير ، كأن يقال فلان مُكلم أى مجرحُ .

وقرأ أبى « تنبئهم » وقرأها ابن مسعود : « تُكلمهم بأن الناس » والقراءة بإنَّ مكسورة لقول الدابة ذلك ، وإذا قرءَت بقراءة حفص « أن » فهى حكاية لقول الله تعالى أنه أخرج الدابة لهذه العلة .

وعن عبد الله بن عـمر أنه قال : تخرج الدابة من تحت صخرة بشـعب جياد فتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفـذه ، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان ، قيل : له ثم ماذا ؟ قال ثم لا أعلم .

وعنه أنه قـال : « تخرج الدابة من تحت سـدوم يعنى مدينة قـوم لوط وقال جـريج عن أبى الزبيـر أنه وصف الدابة فـقال رأسـهـا رأس ثور ، وعـيناها عين خنزير، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وعنقـها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصـرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب كـبش ، وقوائمها قوائم بعير بين كل مـفصلين اثنا عشر زرعًا ، يخرج معها عـصا موسى ، وخاتم سليمان فلا يبقى مـؤمن إلا تنكت فى وجهه بعصا موسى نكته بيضـاء « فتفشوا » تلك النكتة يبيض لها وجهه ولا يبقى كـافر إلا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمـان فتفشـوا تلك النكتة حتى يـسود لها وجهـه حتى إن الناس يتبـايعون فى الأسواق بكم ذا يـا مؤمن بكم ذا يا كـافر ، حتى إن أهل البـيت ليجلســون على مائدته فـيعرفـون مؤمنهم من كافـرهم ثم تقول الدابة يا فـلان أبشر أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ**

---

(١) الجُرحُ .

أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ .

[النمل : ٨٢] .

ولكن هذه الدابة تُعين المؤمن والكافر تظل فى الأرض بعد مـوت عيسى عليه السـلام ودفنه بالحجـرة النبوية حـتى تقتل إبلـيس اللعين بعد طلوع الشـمس من مغربها، كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع :
سابعًا : طلوع الشمس من المغرب

قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

اعلم أنه عند ظهور المسيح الدجال لعنه الله وخسأه أينما ثقف أو ذكر فى زمان أو مكان جعل الله به لعباده فتنة - وتبعه جند له كما تقدم - وفتَنَ الناسَ إذ خلق الله معه خوارق كثيرة فازداد الذين آمنوا إيمانًا مع إيمانهم حتى نزول عيسى عليه السلام والتف حوله المؤمنون حتى أدرك الدجال عند باب (لد) وقتله .

ثم هؤلاء المؤمنون الذين قال الله سبحانه وتعالى لنبيه عيسى فيهم : « حَرِّز عبادى إلى الطور » يرى اللغويون أن الياء هنا ياء النسب فحسبهم تكريمًا وتشريفًا أن ينسبهم الله جل وعلا لذاته بقوله : (يا عبادى) وبنزول الدجال على الأرض وفتنة للناس يصح أن يكون هناك مجال للاختيار أو المفاضلة بين الكفر والإيمان كقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

حتى إذا جاء بعض آيات ربك (طلوع الشمس من مغربها) وهذا قول الإمام أحمد عن وكيع عن أبى ليلى عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ وعن أبى هريرة قوله : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .

وورد من طريق آخـر عن أبى هريرة رضى الله عنه وجـماعـة من الصحـابة أيضًا، وعن أبى سـريحة حذيفـة بن أسيـد عن رسول الله ﷺ قـال : « لا تقوم السـاعة حـتى تروا عشـر آيات : طلوع الشمس من مـغربهـا ، والدابة . . . . » الحديث كما تقدم .

ومن طريق آخـر عن النـبى ﷺ أنه قـال : « إن أول الآيات خـروجًا طلوع الشمس من مـغربهـا ، وخروج الدابة على الناس ضحى فـأيتهـما ما كـانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريب » .

وقـال أنس : قال النبـى ﷺ : « أول أشراط السـاعة نـار تحشـر الناس من المشرق إلى المغرب » وهذا ضعيف .

ولا أميل للجزم بأن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات إذ لو كان ذلك لا ينفع نفسًا إيمانها . . الآية .

إذ لا توجد إذا ضـرورة من فتنة الدجال وإيمان الرجل إذًا (مـردودٌ) عليه ، فكان بذلك يتعين نزول عيسى عليه السلام بعد شروق الشمس من مغربها ، وهذا يرفـضه العـقل ولا يطمأن إليـه القلب . فـإن من أحدث إيمانًا وتوبة بعـد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه إيمان ولا توبة .

فكان من الأولى أن ينزل المسـيح عليـه السـلام فيـركن ويأوى إليـه المؤمنون والمسلمون ، ويلجأ المنافقون والفاسقون والكفرة والفجرة إلى المسيح الدجال ، ثم يقتل المسيح عليه السلام الدجال بباب لد وتخرج الدابة فتعين المؤمن والكافر عندئذ تشرق الشمس من مغربها حينئذ ﴿ **لا ينفع نفسًا إيمانهـا لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا** ﴾ .

وسبق أن بينا فى غير موضع [أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس] .

وروى عن البراء بن عازب قال : كنا نتذاكر الساعة قال : « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، الدخان ، دابة الأرض ، خسفًا بالمشرق ، وخسفًا بالمغرب ، وخسفًا بجزيرة العرب ، والدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى ، ونارًا تخرج من عدن » .

* * *

وقضى ربك سبحانه وتعالى بأن ينزل الكتاب إزالة للعذر وإزاحة للعلة ، وبين أنهم لا يؤمنون ، وشرح أحوالاً توجب اليأس من دخولهم فى الإيمان ، فصار التقدير على بيان أن الناس لا يؤمنون إلا إذا جاءهم أحد الأمور الثلاثة ، وهى : « مجئ الملائكة ، أو مجئ الرب ، أو مجئ الآيات القاهرة من الرب » .

والمعنى أن آيات الساعة إذا ظهرت ، ذهب أوان التكليف عندها ، فلم ينفع الإيمان نفسًا ما آمنت قبل ذلك ، وما كسبت فى إيمانها خيرًا .

يتبين من سياق الأحاديث السالفة أن آية طلوع الشمس من مغربها تارة تكون أول الأشراط وتارة ثانيتها وتكون فى آخرها .

والمراد بالآيات على وجه العموم . ليست بالمألوفة ، وهى تلك التى تظهر على غير المألوف المستقر من العادات ، فالدابة التى تكلم الناس وتعين المؤمن والكافر ، أمر يحصل منه الإبهار ، وهذه من الآيات الأرضية ، وليست أولها وطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية وليست بآخرها .

نظير قوله تعالى : ﴿ **يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب** ﴾ .

* * *

رحلة الشمس

قال أبو ذر قال لى رسول الله ﷺ : « أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت؟» .

قلت : لا أدرى ! .

قال : « إنها تنتهى فتسجد تحت العرش ، ثم تستأذن فيوشك أن يقال لها ارجعى من حيث جئت ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا » .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع :

ثامنًا : قتل إبليس

وإذا طلعت الشمس من مغربها خـر إبليس ساجدًا ينادى ويجهر إلاهى مُرنى أن أسجد لمن شئت .

رُوى أن زبانيته تجتـمع عليه تقول : يا سيـدنا ما هذا التضرع ؟ فـيقول : إنما سألت ربى أن ينظـرنى إلى يوم البعث ولقد طلعت الـشمس من مغـربها ، وهذا الوقت المعلوم ، وتصير الشيـاطين ظاهرة فى الأرض حتى يقول الرجل هذا قرينى الذى كان يغوينى فالحمد لله الذى أخزاه ، ولا يزال إبليس ساجدًا باكيًا حتى تأتيه الدابة وهو على ذلك فتقتله .

آيات وعظات

عن حذيفـة قال : سألـت رسول الله ﷺ ما آية طلوع الشـمس من مغـربها فقال : « تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين ، فيتنبه الذين كانوا يصلون فيها يعملون كما كانوا يعملون قبلها ، والنجوم لا تُرى وقد باتت مكانها ، ثم يرقدون ثم يقومون فيـصلون ، ثم يقومون فتطل عليهم جنوبهم حين يتطاول الـليل فيفزع الناس ، ولا يُصبحون ، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها ، فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفع نفسًا إيمانها » .

ومن طريق آخر : عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لجلسائه ذات يوم : « أرأيتم قول الله تعالى ﴿ **تغرب فى عين حمئة** ﴾ ماذا يعنى بها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ؛ قال : إنها إذا غربت سجدت لله وسبحته وعظمته ، ثم كانت تحت العرش ، فإذا حضر طلوعها سجدت له وسبحته وعظمته ، ثم استأذنته ، فيقال لها اثبتى فتجلس مقدار ليلتين ، قال : ويفزع المتهجدون ، وينادى الرجل تلك الليلة جاره ، يا فلان - ما شأننا الليلة ، لقد نمت حتى شبعت ، وصليت حتى أعييت ، ثم يقال لها اطلعى من حيث غربت ، فذلك يوم لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا .

وبهذا يحصل مقتل الدجال ، وهلاك يأجوج ومأجوج بفضل تضرع عيسى عليه السلام لله سبحانه وتعالى - ثم يرسل الله ريحًا يمانية طيبة ، فيقبض بها روح كل مؤمن ومسلم - فتشرق الشمس من مغربها ، فيخر إبليس ساجدًا فتقتله الدابة ، ويبقى رعاع الناس أو قال حثالة ، أو شرار أو عجاج الناس وقيل اللكع ابن اللكع فعليهم تقوم الساعة .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع :

تاسعًا : أهل آخر الزمان

بعد شروق الشمس من مغـربها وثبات المؤمنين على دينهم ، وبعد أن تنكت الدابة فى وجه المـؤمن فتعـينه ، وكذلك فى وجـه الكافر ، كمـا دلَّت على ذلك الأحاديث كما بينًّا سابقًا ، يتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئًا إلا أعطوه ، وبرز المؤمنون حتى يتم أربعون سنة بعد الدابة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن .

صفاتهم

أ - العودة لعبادة الأوثان

ثبت فى صحيح مسلم من حديث الأسود بن العلاء عن أبى سلمة عن عائشة قالت : سمـعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يذهب الله الليل والنهار حـتى تُعبد اللات والعـزى » فقلت يا رسـول الله إنى كنت لأظن حين أنزل الله ﴿ **هو الذى أرسل رسولـه بالهدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله** ﴾ بأن ذلك تام فقال إنه سيكون من ذلك مـا شاء الله ، ثم يبعث الله ريحًا طيـبة فتـوفى كل من كان فى قلبه مثـقال حبة من خردل من إيمان فيـبقى من لا خـير فيه فـيرجعـون إلى دين آبائهم .

ب - ليس لهم توبة

وقع فى حـديث الرسـول ﷺ عن هؤلاء الفـئة من الناس أنـه قال : يقـول الكافـر : قد كنا مـرعوبين من المؤمنين فلم يبـق منهم أحد ، ليس يقـبل منا توبة فيـتهارجـون فى الطرق تهارج الحـمر ، حتى ينكح الرجل أمـه فى وسط الطريق فيقوم واحد عنها وينزل آخر .

وأفضلهم يقول لو تخليتم عن الطريق كان أحسن فيكونون على ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح ثم يعقم الله النـساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد زنا شرار الناس فعليهم تقوم الساعة .

جـ - أحاديث منثورة فى أهل آخر الزمان

عن أنس عن النبى ﷺ قال : « لا تقوم السـاعة حتى لا يقال فى الأرض لا إله إلا الله » .

ومن طريق آخر : « حتى لا يقال الله ، الله » .

وفى حـديث عبـد العزيز بن صـهـيب عن أنس عن النبى ﷺ : « لا يزداد الناس إلا شُحًا ، ولا يزداد الزمـان إلا شدة ، ولا تقـوم السـاعة إلا على شـرار الناس » .

وعنه ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة إلا على حثالة الناس » .

وعن عبد الله بن عمرو قال : قـال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته[١] من أهل الأرض فيبقى فيها عـجاجة الناس لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا » .

وروى أيضًا قوله ﷺ : « أن يكتفى الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة » .

وعن أنس بن مـالك قال : قـال النبى ﷺ : « لا تقوم السـاعة حـتى يرفع العلم ، ويظهـر الجهل ، وتقل الرجال ، وتكـثر النساء حـتى يكون قيم خـمسين امرأة رجل واحد » .

وعن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن يرى رعاة الشاء رؤوس الناس ، وأن يرى الحفاة العراة الجوع يتبارون بالبنيان ، وأن تلد الأمة ربتها أو ربها » .

وعنه أيضًا قال : قال ﷺ : « والذى بعثنى بالحق لا تنقضى هذه الدنيا حتى يقع بينهم الخسف والقـذف والمسخ ، قالوا ومتى ذلك يا رسـول الله ؟ قال : إذا رأيت النساء ركبن السروج[٢] وكثرت القينات ، وفشـت شهادات الزور ، واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » .

ووقع فى رواية « فَتُمرُّ المرأة بالقوم فيقوم أحدهم إليـها فيرفع عنها ذيلها كما يرفع ذنب الخراف[٣] فينزل بها ويقوم عنهـا وينزل آخر ، ثم يكتفى الرجل بالرجل والأنثى بالأنثى ، ويعقم الله النساء ، ويكونون أولاد زنا شرار الناس فعليهم تقوم الساعة » .

---

(١) خاصَّتُهُ .

(٢) شئ يوضع على ظهر الخيل فيمتطى ، ويكنى بها حديثًا عن السيارات الفارهة .

(٣) النعاج .

فصل

ولقد ظهر كثير من ذلك فى أيامنا هذه رأينا الخسوف والكسوف فى صيف عام ألف وتسعمائة وثمانى وتسعين من الميلاد ، ثم استنساخ النعجة (دوللى) ومحاولات لاستنساخ البشر ، وظهرت القينات والمعازف ، وفشت شهادة الزور ، وتقود الآن المرأة السيارة .

وسمح الغرب المتمدين بتزوج الرجل بالرجل والأنثى بالأنثى ، وإننا لنجد الأمة وقد ولدت ربتها أو ربها ، وقد ازداد الناس شحًا وازدادت الأيام شدة على الناس كل الناس شرق العالم وغربه .

أما هؤلاء المقصودين بالحفاة العراة الجوع المتبارون فى البنيان فقد اختلفت فيهم الآراء وتعددت فيهم الأهواء ، وهم الذين ملكوا ناطحات السحاب[1] هم الحفاة العراة رعاة البقر غربًا وصائدى الأسماك شرقًا .

❊ ❊ ❊

(١) لون من العمارة الشاهقة الارتفاع .

المبحث الرابع :

عاشرًا : بين النارين

والمراد بين نار أرض الحجـاز التى وردت فى كتـاب التذكرة للقـرطبى وفيـها قوله: (قد خرجت نار من أرض الحجاز بالمدينة وكان بدؤها زلزلة عظيمة فى ليلة الأربعاء بعـد العتمة الثـالثة من جمادى الآخـرة سنة أربع وخمسين وستـمائة من الهجرة واستـمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فـسكنت ، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى فى صورة البلد الـعظيم عليها سور محـيط عليه شراريف وأبراج ومآذن ، وترى رجالاً يقودونها ، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته .

ويخرج من مـجموع ذلك مثل الـنهر أحمر وأزرق له دوى كـدوى الرعد ، يأخذ الصخـور بين يديه وينتهى إلى محيط الركب العـراقى واجتمع من ذلك ردم صار كالجـبل العظيم فانتهت النار إلى قـرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر ، وقال لى بعض أصحابنا[١] : رأيتها من نـحو خمسة أيام ، وسـمعت أنها رؤيت من مكة ومن جـبال بصرى ، وقال النووى تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام .

وروى من طريق آخـر أن نارًا كهـذه قـد وقعت فى بـعض بلاد الحجـاز فى الجاهلية وكانت كتلك التى ظهرت بنواحى المدينة فى زمن خالد بن سنان العبسى، فقام فى أمرها حتى أخمدها ومات بعد ذلك ، فى قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر ابن المثنى فى كـتاب الجـماجم وأوردها الحـاكم فى المستـدرك من طريق يعلى بن

(١) الكلام للقرطبى .

مهـدى عن أبى عوانة عن أبى يونس عن عكرمـة عن ابن عبـاس : أن رجلاً من عبس يقـال له خالد بن سِنان قال لقـومه : إنى أطفئ عنكم نار الحدثان ، فـذكر القصة وفيـها : فانطلق وهى تخرج من شق جبل من حـرة يقال له حرة أشجع . فذكر القصة فى دخوله الشق والنار كأنها جبل مسـتقر فضربها بعصاه حتى أدخلها وخرج .

وأما النار التى تطرد الناس إلى محشرهم فنار أخرى .

وعليه فإنى أرى أنه لا علاقة للحديث عـن النارين فما وقع زمانًا قد انتهى ؛ ونؤكد على أن النار التى تسوق الناس إلى مـحشرهم تخرج من قعر عـدن فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل حيث قالوا ، وتأكل من تخلف منهم .

وقال ﷺ فـيما روى عنه من طريق آخر : « لا يبـقى فى الأرض إلا شرارها تلفظهم أرضوهم ، تقذرهم نفس الرحمن تحـشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف » .

* * *

وقال الإمام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا على بن زيد عن خالد بن الحويرث عن عـبد الله بن عـمرو قـال : قال رسول الـله ﷺ : «الآيات خرزات منظومات فى سلك فانقطع السلك فتبع بعضها بعضًا » .

ومنه أنه مع اقتراب الساعة تكثر الصـواعق حتى يأتى الرجل القوم فيقول من صعق تلكم الغداة فيقولون فلان وفلان .

حديث أبى سعيد الخدرى :

ولما يتهارج الناس تهارج الحمر فى الطرقات ويكثر الفسوق وتكثر النساء وتقل الرجال ويكتفى الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة . . . . الحديث .

تكون الساعة حـينئذ كالمرأة المتم لا يدرى أهلها متى يفجـؤها المخاض ليلاً أو نهارًا ويبين ذلك قول الرسول ﷺ : « ولتقومن الساعـة وقد نشر الرجلان ثوبيهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يُسقى منه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » .

وكذا « حديث أبى هريرة » .

ومنه يستـفاد : أنه لما يشتغل أهـل ذلك الزمان بالبيع والابتيـاع فى الأسواق وآخر يحمل لقحته ، وآخر يرفع لقمتـه إلى فيه فلا يأكلها ، وآخر يصلح حوضه بالطين فـلا يسقى منه إبله ، إذ هـم كذلك وبذلك مـشغـولون إذ تطلع السحـابة السوداء التى جاءت فى حديث عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قـبل المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع حتى تملأ السماء ثم ينادى منادٍ أيها الناس ، أيها الناس ، أيها الناس ، أتى أمر الله .

قال : والذى نفسى بيـده إن الرجلين لينشران الثوب بينهمـا فما يطويانه ولا يبيعانه . . . » الحديث .

❊ ❊ ❊

المبحث الخامس

أولا : بين الزوال والإقبال .

ثانيا : لنا أنت يا الله .

ثالثا : ذكر ما ورد في تقريب الساعة .

المبحث الخامس :

ما يكون عند قيام القيامة

أولاً : بين الزوال والإقبال

فإذا ما انقطع السلك الذى به الخرزات المنظومات فتبع بعض الخرزات بعضًا ، وتحقق وقوع الآيات التى أنبأنا بها القرآن الكريم والرسول ﷺ .

ووقع القـول عليهم ، وقـبل أن تزول الدنيا بعـد انتهـاء أشراط السـاعة فى الظهـور والحـداثة يطرق أهل الدنيـا أول ما يطـرق نفخـة الفـزع ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يأمـر إسرافيل فينفخ فى الصور نفخة الفزع فـيطولها فلا يبقى أحد من أهل الأرض ولا فى السمـوات إلا فزع منها إلا من شـاء الله ، ولا يسمعـها أحـد من أهل الأرض إلا أصغـا ليتًا ورفع ليـتًا ، أى رفع صـفحـة عنقه وأمـال الأخرى ، يستمع هذا الأمر العظيم ويتبين ذلك الهول الكبير الذى قد هال الناس، وأزعجهم عما كانوا فيـه من الدنيا منشغلين وبلهوها ملهيين ووقع الأمر العظيم ، وكانوا عنه معرضين .

وفى سياق ذلك قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ .

[النمل : ٨٧] .

﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

فهذه وتلك الآيات من القرآن الكريم تتعرض للنفخ فى الصور ضمن سياق الحديث عن نفخة الفزع ، نفخة الصعق ، نفخة القيام .

وورد عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابى : يا رسول الله ﷺ ، ما الصور ؟

قال : « قرن ينفخ فيه » .

ماذا لو أدركنا هذا

قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن مطرف عن عطية عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : « كيف أنعم ، وقد التقم صاحبُ القرن[1] القرن[2] ، وحنا جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر » . قال المسلمون : يا رسول الله ، فما نقول ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .

وقال أحمد نقلا عن أبى مرية عن النبى ﷺ قال :« النفاخان فى السماء الثانية رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب أو قال رأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق ينتظران متى يؤمران ينفخان فى الصور فينفخان » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن صاحب الصور لم يطرف منذ

(١) إسرافيل .

(٢) الصور .

وُكل به كأن عينيه كوكبان دريان ينظر تجاه العـرش مخافة أن يؤمر أن ينفخ فيه قبل أن يرتد إليه طرفه .

وعن أبى هريرة رضى اللـه عنه قال : قـال رسـول الله ﷺ : « مـا أطرف صاحب الصور منذ وُكل به ، مستعد ينظر نحـو العرش ؛ مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأن عينيه كوكبان دريان » .

❊ ❊ ❊

المبحث الخامس :

ثانيًا : لنا أنت يا الله

لما يقضى الله ما هو قاض يأمر إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : « انفخ نفخة الفزع ، فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره تعالى فيمدها ويطيلها ولا يفتر ، وهى التى يقول فيها ﴿ **وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ** ﴾ [ص : ١٥] فتسير الجبال سير السحاب فتكون سرابًا ، وترتج الأرض بأهلها رجًا فتكون كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش (السقف) وترجحه الأرواح كقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾ الآيات ، [النازعات] » .

فيَميدُ الناس على وجهها وتذهل المراضع ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وترى الولدان شيبًا ، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها فترجع فيولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ينادى بعضكم ، وفيه قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ التَّنَادِ** ﴾ [غافر : ٣٢] فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض تصدعين من قطر إلى قطر فرأوا أمرًا عظيمًا لم يروا مثله ، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما لأحد من الخلائق بعلمه ، وتطوى السماء كطى السجل للكتاب ، ثم السماء انشقت ، وانفطرت ، والنجوم انتثرت ، وخسف بشمسها وقمرها كما سنبين فيما يأتى .

❊ ❊ ❊

البيان

قال تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] .

اعلم أن المراد أنه إذا وقعت هذه الأشـياء التى هى من أشراط الساعـة فهناك يحصل الحشر والنشر .

وفى التكوير وجهان :

أحدهما : التلفيف على جهة الاستدارة كتـكوير العمامة كما وقع فى الحديث « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أى من التشتت بعد الألفة .

والطى واللف والكور والتكوير واحد .

والثابت أن الشيء الذى يلف لا شك أنه يصـير مختفيًا عن الأعين فـعبر عن إزالة النور عن جـرم الشمس وتصـيـيرها غـائبة عن الأعين بـالتكوير فلهذا قـال بعضهم: كُوِّرت أى طمست .

قال آخرون : انكشفت .

وقال الحسن : محى ضوؤها .

وقال المفضل بن سلمة : كُورت أى ذهب ضوؤها كأنها استترت فى كارة .

الثانى : فى التكوير يقال : كَوَّرتُ الحائط ودهورته إذا طرحته حتى يسقط .

قال الأصمعى : يقال طَعَنهُ فَكَوَّرهُ إذا صَرَعَهُ .

فقال تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ أى ألقيت ورميت عن الفلك .

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ .

اعلم أن الأصل فى الانكدار الانصـباب ، والمراد أى تناثرت وتساقطت كـما

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار : ٢] .

قال الكلبى : تمطر السماء يومئذ نجومًا فلا يبقى نجم فى السماء إلا وقع على وجه الأرض .

قال عطاء : وذلك أنهـا فى قناديل معلقـة بين السمـاء والأرض سلاسل من النور ، وتلك السلاسل فى أيدى الملائـكة فإذا مات من فى السمـاء تساقطت تلك السلاسل من أيدى الملائكة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ .

أى عن وجه الأرض كقوله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ : ٢٠] أو فى الهواء كقوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ .

فيه قولان :

الأول : (العشار) جمع عشراء كالنفـاس فى جمع نفساء وهو المشهور وهى التى مر على حـملها عشرة أشهـر ، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتـمام السنة وهى أنفس[1] مـا يكون عند أهلهـا وأعزها عليـهم و (عَطِّلت) : قـال ابن عبـاس : أهملهـا أهلها لما جـاءهم من أهوال يوم القيـامة وليس شئ أحب إلى العـرب من النوق الحوامل .

وخوطب العرب بأمر العشراء لأن أكثر مـالها وعيشها من الإبل والغرض من ذلك ذهاب الأموال وبطلان الأملاك واشـتغال الناس بأنفسهم كـما قال : ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴾ [الشعراء : ٨٨] وكـقوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

(١) للمبالغة من نفيس .

الثانى : أن العشار كناية عن السحاب تعطلت عما فيها من الماء وهذا وإن كان مجازًا إلا أنه أشبه بسائر ما قبله وأيضًا فالعرب تشبه السحاب بالحامل .

قال تعالى : ﴿ **فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا** ﴾ [الذاريات : ٢] .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ .

فكل شيء من دواب البر مما لا يستأنس فهو وحش ، والجمع الوحوش و(حشرت) : جمعت من كل ناحية .

قال قتادة : يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص .

قال المعتزلة : إن الله تعالى يحشر الحيوانات كلها فى ذلك اليوم ليعوضها عن آلامها التى وصلت إليها فى الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك فإذا عُوضت عَن تلك الآلام ، فإن شاء الله أبقى بعضها فى الجنة إذا كان مستحسنًا فعل ، وإن شاء أن يغنيه أفناه على ما جاء به الخبر .

وقال الجمهور: أنه لا يجب على الله شيء بحكم الاستحقاق ، ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ، ثم يقال لها موتى فتموت.

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾

قرئ بالتخفيف والتشديد . وفيه وجوه :

أحدهما : أن أصل الكلمة من سُجرت التنور إذا أوقدتها ، والشيء إذا وقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة ، فحينئذ لا يبقى فى البحار شيء من المياه البتَّة ، ثم إن الجبال قد سُيرت على ما قال : ﴿ **وسيرت الجبال** ﴾ .

وحينئذ تصير البحار والأرض شيئًا واحدًا فى غاية الحرارة والاحتراق ويحتمل أن تكون الأرض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال ويحتمل أن الجبال لما اندكت وتفرقت أجزاءها وصارت كالتراب وقع ذلك التراب

فى أسفل الجبال ، فصار وجه الأرض مستويًا مع البحار ، ويصير الكل بحرًا مسجورًا .

والأقوى إعمال قوله تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة : ١٤] فإنه أمر يحصل به الاستواء بين الجبال والأرض : ﴿ لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٧] .

الثانى : أن يكون سجرت بمعنى (فجرت) وذلك لأن بين البحار حاجزًا على ما قال : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩ - ٢٠] فإذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض فى البعض ، وصارت البحار بحرًا واحدًا وهو قول الكلبى .

الثالث : (سجرت) : أوقدت .

قال القفال : وهذا التأويل يحتمل وجوهًا :

الأول : أن تكون جهنَّم فى قعور البحار ، فهى الآن غير مسجورة لقيام الدنيا فإذا انتهت مدة الدنيا أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار فصارت بالكلية مسجورة بسبب ذلك .

والثانى : أن الله تعالى يلقى الشمس والقمر والكواكب والنجوم فى البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك .

والثالث : أن يخلق الله تعالى بالبحار نيرانًا عظيمة حتى تسخن تلك المياه .

ولكن يجب القول بأن هذه الوجوه مُتكلفة لا حاجة إلى شىء منها ، لأن القادر على تخريب الدنيا وإقامة القيامة لابد وأن يكون قادرًا على أن يفعل بالبحار ما شاء من تسخين ومن قلب مياهها نيرانًا من غير حاجة منه إلى أن يلقى فيها الشمس والقمر ، أو يكون تحتها نار .

فصل

نؤكـد على أن هذه العلامـات الست يمكن وقـوعهـا فى أول زمان تخـريب الدنيا، ويمكن وقوعهـا أيضًا بعد قيام القيامـة ، وليس فى اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين ووقع بذلك وبعد ذلك ما الله سبحانه به عليم .

وقال رسـول الله ﷺ : « الأمـوات لا يعلمون بشئ » من ذلك لأن الفـزع عذاب الله يبعـثه على شرار خلقه الذين لو وُجد من بيـنهم من قال : الله الله ما وقعت عليهم الواقعة كقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » وتقدم من أمثلة ذلك الكثير .

والفزع عـذاب يطول بهم ويمكثون فـيه ما شـاء الله ، ثم يأمر الله إسـرافيل فينفـخ نفخة الصـعق فيـصعق أهل السـموات والأرض إلا من شاء الـله فإذا هم خامدون .

وجاء ملك الموت إلى الجبار ، فيقول يا رب مات أهل السموات والأرض إلا من شئت ، فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقى ،فمن بقى ؟ . . بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العـرش ، وبقى جبريل ، وميكائيل ، وبقيت فـيقول الله عز وجل : ليمت جـبريل وميكائيل ، فينطق الله العرش فيـقول يموت جبريل وميكائيل ، فيقول : اسكت فإنى كـتبت الموت على كل من تحت عرشى فيموتان ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عـز وجل فيقول يا رب قد مات جـبريل وميكائيل فيقول ، وهو أعلم بمن بقى ، فمن بـقى ؟ فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت أنـا ، فيقـول الله له أنت خلق من خلقى خلقتـك لما رأيت فمت

فيموت فـإذا لم يبق إلا الله ، الواحد ،القهار ، الأحد ، الفـرد ، الصمد ،الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، وقد كان آخرًا كما كان أولاً .

طوى السماوات والأرض كطى السجل ثم دحاها(١) ثم تلففها ثلاث مرات ، وقال : أنا الجبار ، أنا الجبار ، أنا الجبار .

ثم يهتف بصـوته : « لمن الملك اليوم ، لمن الملك اليـوم ، لمن الملك اليوم » فلا أحد يسمعه أو يراه .

ثم يقول لذاته جل وعلا : ﴿ **لله الواحد القهار** ﴾ .

❊ ❊ ❊

---

(١) كورها على شكل كورة أو بيضة .

المبحث الخامس :

ثالثًا : ذكر ما ورد في تقريب الساعة

الأول : من القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ .

[الأنبياء : ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج : ٦ - ٧] .

وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] .

وقال تعـالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى : ١٧] .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ .

[الأحزاب : ٦٣] .

❊ ❊ ❊

الثاني : من السنة النبوية

عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر يقول: « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى المغرب ، أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين، فقال أهل التوراة والإنجيل : ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجرًا . فقال : هل ظلمتكم من أجركم ؟ قالوا : لا . قال : فذاك فضلى أوتيه من أشاء » رواه البخارى عن أبى اليمان .

ومن طريق آخر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إن آجالكم فى آجال الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغيربان الشمس » .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، وأبو كريب قالا : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : قالت الأعراب متى الساعة ؟ فنظر إلى أحدث[1] إنسان منهم فقال إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » .

وروى أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة وعنده غلام من الأنصار ، يقال له محمد فقال رسول الله ﷺ : « إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » .

وفى رواية أخرى : « إن يؤخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » .

(١) الأصغر سنًا .

وبين أيدينا الكـثيـر من الأحـاديث التـى تظهـر ذات المعنى وتؤدى إلى ذات الغاية، وقد أوجزتها بعد التحقيق والتنقيح .

ومفاده : أن مـا تبقى بالنسبة إلى مـا مضى قليل يسير ، ولا يعلم مـقدار ما مضى إلا اللـه ولم يتسنى لى الاضطلاع على مـا فيـه (تحديد) يمكن نسـبه إلى الرسول ﷺ حتى نعمل قياسًا لما تبقى قياسًا على ما تقدم .

وما تشيـر إليه وتدلنا عليه الأحاديث أن مـا تبقى بالنسبة إلى مـا مضى قليل جدًا ولم يرد بالتواتر أو روى على أسماعنا أو قرأنا بأعيننا حديثًا صحيحًا يدل على تعيين وقت . والمتاح لنا والمتوافر لدينا والحاصـل أمامنا يجمع على أن الله سبحانه وتعالى اسـتأثر بعلم الساعـة دون أحد من خلقه ولم يعـلم بها ملك ولا نبى ولا إنس ولا جان .

حيـث يأتى إخفـاء علم الساعـة على رأس الخمس قـضايا التى اسـتأثر بـها سبحانه وتعالى لذاته كـقوله سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان : ٣٤] .

❊ ❊ ❊

الثالث : ذكر ما ورد فى بعض أسماء الساعة

قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة : ١] .

فيه مسائل :

المسألة الأولى : أجمعوا على أن ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ هى القيامة واختلفوا فى معنى الحاقة على وجوه :

أحدها : أن الحق هو الثابت الكائن ، فالحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التى هى آتية لا ريب فيها .

ثانيها : أنها التى تحق فيها الأمور أى تعرف على الحقيقة من قولك لا أُحِقُّ هذا أى لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها .

ثالثها : أنها ذوات الحواق من الأمور وهى الصادقة الواجبة الصدق ، والثواب والعقاب وغيرهما من أحوال القيامة أمور واجبة الوقوع والوجود فهى كلها حواق .

رابعها : أن ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ : بمعنى الحقة والحقة أخص من الحق أوجب تقول هذه حقتى أو حقى ، وعلى هذا ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ : بمعنى الحق وهذا الوجه قريب من الوجه الأول .

خامسها : قال الليث ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ النازلة التى حقت بالجارية فلا كاذبة لها وهذا معنى قوله : ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ [الواقعة : ٢] .

سادسها : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ الساعة التى يحق فيها الجزاء على كل ضلال وهدى

وهى القيامة .

سابعها : ﴿ **الْحَاقَّةُ** ﴾ هو الوقت الذى يحق على القوم أن يقع بهم .

ثامنها : أنها الحق بأن يكون فيها جميع آثار أعمال المكلفين فإن فى ذلك اليوم يحصل الثواب والعقاب ويخرج عن حد الانتظار وهو قول الزجاج .

تاسعها : قال الأزهرى والذى عندى فى ﴿ **الْحَاقَّةُ** ﴾ أنها سميت بذلك لأنها تحق كل محاق فى دين الله بالباطل أى تخاصم كل مخاصم وتغلبه ، من قولك حاققته فحققته أى غالبته فغلبته وفلجت عليه .

وعاشرها : قال أبو مسلم ﴿ **الْحَاقَّةُ** ﴾ الفاعلة من حقت كلمة ربك .

المسألة الثانية :

الحاقة : مرفوعة بالابتداء وخبرها ﴿ **ما الْحَاقَّةُ** ﴾ والأصل ﴿ **الْحَاقَّةُ** ﴾ ما هى ، أى أى شيء هى ؟ تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لها ، فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها .

ومثله قوله : ﴿ **الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ [القارعة : ١ - ٢] .

وقوله : وما أدراك ، أى وأىُّ شيءٍ أعلمك .

﴿ **ما الْحَاقَّةُ** ﴾ يعنى إنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها .

يعنى أنها فى العظم والشدة بحيث لا يبلغ علم أحدٍ أو وهمه كنه ﴿**الْحَاقَّةُ**﴾ وكيفما قدَّرت حالها أو تخيلته أو توهمته أو خلته فهى أعظم من ذلك .

قوله تعالى : ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** ﴾ .

فيه مسائل :

أحدهما : المراد إذا وقعت القيامة والواقعة أو الزلزلة الواقعة يعترف بها كل

أحد ولا يتـمكن أحد من إنكارها ، ويبطل عناد المعـاندين فتخـفض الكافرين فى دركات النار ، وترفـع المؤمنين فى درجات الجنة ، هؤلاء فى الجـحيم وهؤلاء فى النعيم .

الثـانى : ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** ﴾ تزلزل الناس فـتـخـفض المرتفع ، وترفع المنخفض ، وعلى هذا فهى كقوله : ﴿ **فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا** ﴾ [الحجر : ٧٤] .

فى الإشارة إلى شدة الواقعة .

لأن العذاب الذى جعل العـالى سافلاً بالهدم ، والسافل عـاليًا حتى صارت الأرض المنخفضة كالجبال الراسية ، والجبال الراسية كالأرض المنخفضة أشد وأبلغ، فصارت البروج العالية مع الأرض متساوية .

والواقعـة التى تقع ترفع المنخفـضة فتـجعل من الأرض أجزاء عـالية ، ومن السماء أجزاء سافلة .

وقد بـينا سابقًا أنه لما يموت أهل السـماء تقـع من أيديهم السلاسل الممـسكة بالنجوم والكواكب على الأرض فـتحدث بها تفجـيرات وزلزالات لا يمكن لو هم أحد أن يتخيل عندئذ ﴿ **الْوَاقِعَةُ** ﴾ .

ويدل على ذلك قوله : ﴿ **إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا** ﴾ فإنه إشارة إلى أن الأرض تتحـرك بحركة مزعجـة ، والجبال تتفتت ، فتـصير الأرض المنخفضة كـالجبال الراسية والجبـال الشامخة كالأرض السافلة ، كـما يفعل هبوب الرياح فى الأرض المرملة .

الثالث : ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** ﴾ يظهر وقوعها لكل أحد ، وكيفية وقوعها ، فلا يوجد لها كاذبة ولا متأول فقوله تعالى ﴿ **خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ** ﴾ معطوف على كاذبة نسقًا فـيكون كما يقـول القائل : ليس لى فى الأمـر شك ولا خطأ ، أى لا قدرة

لأحد على رفع المنخفض ولا خفض المرتفع .

المسألة الثانية : ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** ﴾ يحتمل أن تكون الواقعة صفة لمحذوف وهى القيامة أو الزلـزلة على ما بينا ويحتمل أن يكون المحذوف شيـئًا غير معين ، وتكون تاء التأنـيث مشيـرة إلى شدة الأمر الواقع وهوله كـما يقال كـانت الكائنة والمراد كان الأمر كائنًا مـا كان وقولنا الأمر كائن لا يفيـد إلا حدوث أمر ولو كان يسيرًا للمبالغة ، فى قولهم : فلان راوية ونسابةٌ .

قوله تعالى : ﴿ **القارعة** ﴾

القارعـة : اسم من أسمـاء القيامـة : والقرع الضرب بـشدة واعتـماد ، ثم سميت الحادثة الـعظيمة من حوادث الدهر قارعة ، كـما قال تعالى : ﴿ **وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ** ﴾ [الرعـد : ٣١] وقولهم العـبد يقـرع بالعصا ، وقوارع القرآن ، وقوع الباب وتقارعوا بالسيوف .

والأجرام السمـاوية العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكـا شديدًا عند تخريب العالم فبسبب تلك القرعة سمى يوم القارعة بالقارعة .

وقـيل : أن القـارعـــة هى التى تقـرع الناس بـالأهوال والأفـزاع وذلك فى السمـاوات بالانشقـاق والانفطار ، وفى الشـمس والقمـر بالتكور وفى الكواكب بالانتـشار وفى الجـبال بالدك والنسف ، وفى الأرض بالطى والتـبديل وهـو قول الكلبى .

وقال مقـاتل : أنها تقرع أعداء الله بالعـذاب والخزى والنكال وفى ذلك قال بعض المحققين .

وهذا أولى من قـول الكلبى لقوله تعـالى : ﴿ **وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ** ﴾ [النمل : ٨٩] .

قوله تعالى : ﴿ **ذلك اليوم الحق** ﴾

وُصف اليوم بأنه حق وفى ذلك وجوه :

أحدها : أنه يحصل فيه كل الحق ، ويندمغ كل باطل ، فلـما كان كاملاً فى هذا المعنى قيل أنه حق ، كما يقال فلان خير كله إذا وصف بأن فيه خيرًا كثيرًا .

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك اليوم الحق** ﴾ : يفيد أنه هو اليوم الحق وما عداه باطل لأن أيام الدنيا باطلها أكثر من حقها .

وثانيها : أن الحق هو الثابت الكائن ، وبهذا المعنى يقال إن الله حق ، أى هو الثابت لا يجوز عليه الفناء ويوم القيامة كذلك فيكون حقًا .

ثالثها : أن ذلك اليوم هو اليـوم الذى يستحق أن يقال له يوم لأن فـيه ﴿**تُبلى السـرائر** ﴾ وتنكشف الضـمائر ،وأما أيـام الدنيا فأحـوال الخلق فيـها مكتـومة ، والأحوال فيها غير معلومة .

قوله تعالى : ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن** ﴾

يُريد به يوم القـيامـة جمع فـيـه أهل السمـاوات وأهل الأرض والحيـوانات المستـأنسة وغير المسـتأنسة والضارة والـنافعة مجـموعة ضمن أهل الأرض كـقوله تعالى: ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ .

« التغابن » تفاعل الغبن فى المجازاة والتـجارات ، يقال : غبنه يغبنه غبنًا إذا أخذ الشيء منه بدون قيمته .

قال ابن عبـاس رضى الله عنهما : أن قومًا فى النار يعـذبون وقومًا فى الجنة يتنعمون .

وقيل : هو يوم يغبن فيه أهل الحق أهـل الباطل ، وأهل الهدى أهل الضلالة وأهل الإيمان أهل الكفر ، فلا غبن أبين من هذا .

وفى الجملة فالغبن فى البيع والشراء وقد ذكر تعالى فى حق الكافرين أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة واشتروا الضلالة بالهدى ثم ذكر أنهم ما ربحت تجارتهم ودل المؤمنين على تجارة رابحة فقال : ﴿ **هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَة** ﴾ [الصف: ١٠] الآية .

قوله تعالى : ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة** ﴾

الآزفة : فاعلة من أزف الأمر إذا دنا وحضر ؛ لقوله فى صفة يوم القيامة : ﴿ **أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ** ﴾ [النجم : ٥٧ - ٥٨] .

والمقصود : أن يوم الآزفة هو يوم القيامة ، ونبه عليه ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ** ﴾ [القمر : ١] .

قال الزجاج :إنما قيل لها آزفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مَداها ، وما هو كائن فهو قريب .

وقال القفال : وأسماء القيامة تجرى على التأنيث كالطامة والحاقة والقارعة ونحوها كأنها يرجع معناها إلى الداهية .

قوله تعالى : ﴿ **يوم التناد** ﴾ .

أجمع المفسرون على أن ﴿ **يوم التناد** ﴾ يوم القيامة .

وفى سبب تسمية ذلك وجوه :

الأول : أن أهل النار ينادون أهل الجنة ، وأهل الجنة ينادون أهل النار ، كما ذكر الله تعالى عنهم فى سورة الأعراف : ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ** ﴾ [الأعراف : ٥٠] ، ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ** ﴾ [الأعراف : ٤٤] .

الثانى : يوم التناد لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾ [الإسراء : ٧١] .

الثالث : أنه ينادى بعض الظالمين بعضًا بالويل والثبور فيقولون : ﴿ **يَا وَيْلَنَا** ﴾ [الأنبياء : ٩٧] .

الرابع : ينادون إلى المحشر . أى يدعون .

الخامس ينادى المؤمن ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ﴾ [الحاقة : ١٩] .

﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ** ﴾ [الحاقة : ٢٥] .

السادس : ينادى باللعنة على الظالمين .

السابع: يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى يا أهل القيامة لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحًا على فرحهم وأهل النار حزنًا على حزنهم .

الثامن : قال أبو على الفارسى : التناد مشتق من التناد من قولهم ند فلان إذا هرب وهو قراءة ابن عباس وفسرها فقال يندون كما تند الإبل .

ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى : ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه** ﴾ [عبس : ٣٤] الآية .

وقوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ **يوم تولون مدبرين** ﴾ لأنهم سمعوا زفير النار يندون هاربين فلا يأتون قطرًا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفًا ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه .

قوله تعالى : ﴿ **بل الساعة موعدهم** ﴾ .

اعلم أن القيامة : سميت بالساعة لساعة الأمور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب والجزاء ،وكفى .

وهى الساعة الـتى فيها الميزان لتـجزى كل نفس بما كسبـت ، وهى ساعة لا ظلم فيها ، إذ يسـأل الله الحجر لما خدش الحجر ويسـأل العود لما خدش العود ، ولن يدخل الجنة أحدٌ وهو عليه مظلمة حتى يؤديها .

إذ لا ظلم اليوم ، والله سريع الحساب .

❊ ❊ ❊

بلاغ

إن ما حملنى على التـعرض لهذا الموضوع تحديدا وبذل الجهـد للتعرف على أشراط القيامة وأحـداث الوقت في الماضي والحاضر لتبيان حقيـقة مآلنا نحن البشر هو ذلك الألم الذي يعتصرني مما آل إليـه شأن الناس ، الفرد في الأسرة ، الأسرة والعائلة ، القرية والمدينة، الإقليم والقطاع ، الدولة والدول ، داخليـا وخارجيا ، عربيا وغير عـربي ، الناس ، عامة الناس لقوله تعالى : ﴿ **هذا بلاغ للناس**﴾ . قصدت به التذكرة بأن الدنيا ممر للآخـرة . ولقد خفت الله تعالى من مقام الإيمان الذى أسأله التثبيت عليه كقوله ﴿ **وخافـونى إن كنتم مؤمنين** ﴾ ولم تشر الآية بأن ذلك ذكر للمسلمـين ، أو قصر على المؤمنين : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾ [التكوير : ٢٧ - ٢٨] .

إلا أنه يجب التأكيد على أن الذكرى لا تنفع العالمين أجمعين فالبلاغ والإبلاغ واجب لازم[١] لازب[٢] لإعلام وإعلان الجميع أمـا النفع فللمؤمنين على الخصوص كقوله تعالى : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

ثم هو تذكرة أيضًا بإبلاغ بلاغ الله تعـالى إلى خلقه العارفين العـابدين لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٦] .

وفيه أيضًا ناقوص إنذار ندقـه لكل حى كقوله تعالى : ﴿ **لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [يس : ٧٠] ، ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ [الرعد : ٧] .

---

(١) ضرورى .

(٢) ثابت .

والمنذر : هو النبى ﷺ وقد أشير إليه فى قوله ﴿ **وما علمناه** ﴾ .

وقيل : أن القرآن ينذر .

فالأول : أقرب إلى المعنى .

والثانى : أقرب إلى اللفظ .

وقرئ : ﴿ **لتنذر مـن كـان ...** ﴾ خطابًا مع رسـول الله ﷺ ولا حـرج فى حصول الإنذار وبيان البلاغ بإحدى الطريقتين .

لينذر من كان حيًا فى علم الله فيؤمن بعـد الإنذار على سبيل العموم أو ينذر من آمن بما على المعاصى من العقاب وما على الطاعة من ثواب .

ولأن الأمر ينـبئ بسرعـة الإهلاك والعذاب ، أسـرع وأقرب من أن يحـتمل الحـال الإبـطـاء فـى الـرجـوع ، أنزل الله قـوله تعـالى : ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** ﴾ [الذاريات : ٥٠] .

وفيه تصريح الأمر بالتوحيد والإيمان المطلق فكان الأمر فافزعوا إلى الله سريعًا جميعًا . وفروا إلى جاهه للاحتماء ولم يرد بالمهروب منه إما لكونه معلومًا فى أنه (الشيطـان ، أو العذاب) : ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** ﴾ [الطور : ٧] ، وإمـا لكونه عامًا فيكون المراد كأنه يقول كل ما عدا الله فهو عدوٌ لكم ففروا إليه من كل ما عداه .

﴿ **هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

أى أن فى هذا التذكر والموعظة العامة للناس وكفاية فى الموعظة وينتصحوا به ولينذروا بهذا البلاغ وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب .

موجبات الحمد لله

اعلم أننا مأمـورون بحمد الله لما فـيه من أفضل وأبلغ أسـاليب الدعاء الذى يحب الله سماعه من العـباد لما فيه من إقرار بربوبيته ومناجاة لقـدسيته ، وكذا فى قوله : ﴿ **فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [غافر : ٦٥] .

وبين الله الملك القـدوس الثناء على ذاته فـقال : ﴿ **الرحمن الـرحيم** ﴾ وما بعدها مناسب لما قبلها .

فهو رب العـالمين ولا شيء معه وله الحمد فى الأولى والآخـرة وعشيًا وحين تصبحون ، رب جميع الخلائق ولكونه كذلك وجب الثناء بكونه (رحمن رحيم) أى المجير لكل الخلائق من كل المضار لقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ** ﴾ [المؤمنون : ٨٨] .

ولأنه هو المنعم لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل:٥٣].

ولأنه المُطعمُ لقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ** ﴾ [الأنعام : ١٤] .

ولأنه الموجود لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾ [النساء : ٧٨] .

والرحمـن : هو المُنعمُ بما لا يُتصـوَّرُ صدورُ جنسـه من العباد وهـو اسم خاص بالله.

والرحيم : هو المنعم بما يُتَصَوَّر صدور جنسـه من العباد وهو اسم يطلق على الله وعلى غيره كقوله سبحانه حال الحديث بمنهج النبى محمد ﷺ إذ قال : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فهو جل وعلا إن صح منى التعبير (قهـار للعدم بالوجود والتحصيل ، جبار له بالقوة والفعل والتكميل) فـ ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

فلك وحدك الحمد يا ذا الجود والكرم ولك الشكر يا ذا المنح والنعم أقر بفضلك الذى دانت له الرقاب وبعلمك الذى لا يدانيه علم فكل علم دون علمك قليل وكل عطاء دون فيض عطاياك حقير ، لك وحدك الإقرار بالنعم . سبحانك ألهمتنى الكثير بعلم كثير وعطاء غزير فلك منى الشكر الوفير .

سجود الشكر منى قليل ، لا يدانى فضلك ولا باليسير .

يا من أنت أول ، يا من أنت آخر ، كما كنت أولاً . أوهبتنى القدرة على البحث والصبر على الوقت والسداد فى الرأى ، وأنت أنت القائل : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس : ٥٨] .

إنى بفضلك فرح وبمنحك مسرور ، فلك الحمد ولك الشكر على ما تفضلت به علينا وأنعمت ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، إلى أن ألقاك فرحًا مسرورًا يا رب العالمين .

الكاتب

❊ ❊ ❊

التوثيق

يقع فى الصفحة الثامنة بعد المائتين ضـمن كتاب مفاتيح الغيب المجلد السابع الجزء الثالث عشر ، بيان قوله تعالى : ﴿ **أفأمن أهل القرى** ... ﴾ الآيات ، وفيها ووقع عن ابن عامر قراءة (أوْ أمن) ساكنة الواو واستعمل على ضربين :

الضرب الأول : أن تكون بمعنى أحد الشيئين ، كقول : زيد أو عمرو جاء - والمعنى أحدهما جاء .

الضرب الثانى : أن تكون للإضراب عمَّا قبلها كقولك : أنا أخرج أو أقيم ، أضربت عن الخروج ، وأثبتَّ الإقامة كأنك قلت : لا بل أقيم .

وجمـلة بيان الآيات كـما بينهـا الإمام الرازى تقع فـى صفـحات (٢٠٨ ، ٢٠٩).

فصل فى تحويل القبلة سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وهو ما وقع فى كتاب البـداية والنهاية الصفحة الرابعة والتـسعين بعد المائتين (الكتاب الثانى) .

قال بعضهم : كان ذلك فى رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن إسحاق .

ويقال : صـرفت القبلة فى شعبـان على رأس ثمانية عـشر شهرًا من مـقدم الرسول ﷺ إلى المدينة وحكى هـذا القول ابن جرير من طريق السـدى فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

قال الجمـهور الأعظم : إنما صرفت فى النصف من شعبـان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة .

ثم حُكى عن محـمد بن سعـد الواقدى أنها حولـت يوم الثلاثاء النصف من شعبان (وفى هذا التحديد نظر) والله أعلم .

وقد أورد ذلك ابن هشام فى السيرة النبوية .

وهو عند ابن كثيـر فى الشهر السادس عشر أو السابع عـشر من دخول النبى ﷺ إلى المدينة .

وجاء أيضًا فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب أنها فى الشهر السادس عشر أو السابع عشر من قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة .

وجاء الكلام عن الزلازل مـقتـضبًا فى الصفـحة السابعـة والثمـانين مع بيان الحديث فى الحديث الـنبوى المرقم (٧١٢١) فى كتاب فتح الـبارى ضمن المجلد التاسع عشر .

ذكر الملحمة مع الروم الذى آخره فتح القسطنطينية

وعند ذلك يخرج المسـيح الدجال فينزل المسـيح عيسى ابن مريم من السـماء الدنيا إلى الأرض كما بينا فى موضوعـه وإن الكلام فى الملحمة مع الروم لكثير ، ولمن أراد الاستزادة فـإن ذلك واقع بالصفحة الخـمسين من كتاب البـداية والنهاية، الجزء الثامن (الفتن والملاحم) .

بينًا تحليلا وتفسيرًا حال يأجوج ومأجوج ورأى المفسرين فى أصل اشتقاقهما وبيان أوصافهما

وذلك كله مـجمـوع بيـانه بكتاب مـفاتيـح الغيب من ص٣٧٨ حـتى بداية ص٣٨٤ ضمـن المجلد العاشـر ، وورد فى ذلك كلام كـثيـر حوته كـتب كثـيرة رشحت لك قراءة ما اطمأننت إليه .

❊ ❊ ❊

شكر واجب

فبعد أن حمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهل له .

أسجل شكرى الكبـير وامتنانى العظيم للسـيدة زوجى أم أولادى ، وأولادى جميعًا (نهى وحمدى وضياء وآيات) ، الذين ساعدونى قدر استطاعتهم فى تهيئة المناخ المناسب ، وقدموا لـى العون بإجابة طلباتى وحاجـاتى التى كانت لا تنقطع طيلة العمل فى هذا الكتاب مدة عامين والتزموا جميعًا بما حددته لهم ، مما كان له أكبر الأثر فى تخريج هذا العمل على النحو المتقدم .

كذلك أدون شكرى لفضيلة الشيخ : محمـد إسماعيل حسن ، محفظ القرآن الكريم بقريتى أبو صير - الجيزة .

وعظيم امتنانى وتقديرى للدكـتور عادل محمد محمـد الأكرت ، بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر لما قدمه لى من نصح وإرشاد .

والله أسأل التوفيق وسداد الخطى لى ولهم ولكم أجمعين .

آمـين

❊ ❊ ❊

مراجع الكتاب

* البداية والنهاية - لابن كثير .

* مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازى .

* الإسراء والمعراج - لابن عباس .

* فتح البارى - لابن حجر العسقلانى .

* ٦٧ الانفجار - أ/ محمد حسنين هيكل .

* الخليج الأمريكى ، العربى سابقًا - أ / عادل حسين .

* المعجم الوجيز - طبعة وزارة التربية والتعليم .

* الأطلس العربى - طبعة وزراة التربية والتعليم .

* مصر فى عصر المماليك والعثمانيين - أ.د/ عبد العزيز محمود عبد الدايم.

❊ ❊ ❊

دعاء الختام

الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله . الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . فسبحان الله بكرة وأصيلا . فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون .

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما .

اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم .

اللهم انفعنا ما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا .

اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن عمل لا يرفع ومن قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع .

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم إنى أسألك حبك وحب من أحبك وأعوذ بك من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .

اللهم إنى أسألك أن تجعل عملى هذا عملاً مقبولاً ، فأمركَ دائمًا قدراً مقدوراً، واجعله اللهم صدقة جارية تنفعنى عند الساعة يوم توفى كل نفس ما كسبت ، يوم يعض الظالم على يديه .

اللهم أحينى مؤمنًا وتوفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين . وصلِ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم . **آمين**

الفهرس